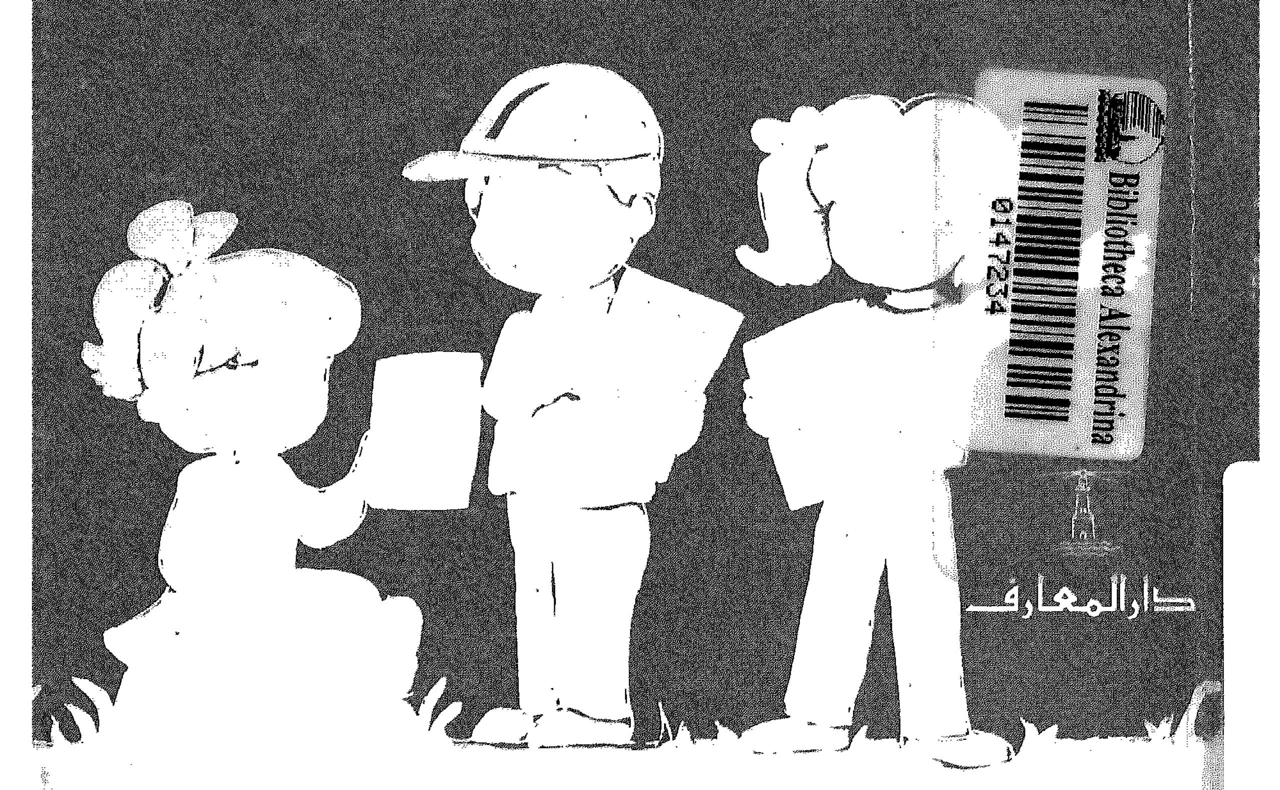
دكتور أحمد زلط

أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي



دار المعارف



أدب الطفولة

بين

كامل كيلاني ومحمد الهراوي

« دراسة تحليلية ناقدة »

تأليف

دكتور أحمد زلط



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

إهـــداء

* إلى فردوس عمرى الغائبة ؟!..

... وإلى مَنْ تصنع من سراب الوهم والخوف عذابات جحيم الغروب ... (اليكما) أهدى هذا الكتاب لعلكما تقدران معنى تجليات الشروق والبراءة وفتوحات الحب .

د أحمد زلط

(١٢ / ٤ / ١٩٩٤)

شنبارة الميمونة م . الزقازيق . مصر
ص . ب ١٧١ الزقازيق



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، سبحانه واحد فى صفاته ، كما هو واحد فى ذاته ، وصلاة وسلامًا على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فمنذ نحو قرن ونصف ، ومجهودات المحدثين والمعاصرين تتضافر فى البيئة العربية وتتراكم بهدف ارساء دعائم راسخة لأدبيات الطفولة فى الأدب العربى الحديث والمعاصر . ولعل طول الفترة الزمنية التى تتطلبها « تقعيد » ذلكم اللون الأدبى المتجدد وازدهاره ، بل الاعتراف (الابداعى والنقدى والجمعى) به - مَرَدُّه - إلى النظرة السلبية الموروثة تجاه الطفل باعتباره الصغير من كل شىء ؟! إضافة إلى عوامل أخرى شائكة تتعلق بالتربية الأسرية والمدرسية والمجتمعية ككل ، أيضا عزوف كبار الأدباء ووسائط الثقافة والتربية والاعلام عن الاهتمام الواقعى بالطفل وأدبه بخاصة ، وثقافته بمعناها الواسع بعامة .

والواقع أن أهم صعوبة واجهت - وتواجه - منعطفات تطور « أدب الطفولة » فى الأدب العربى ، هى التى تتمحور عند إشكالية : اختلاط المفاهيم وغياب الرؤية المتكاملة للأهداف المرجوة من أدبيات الطفولة . فمن المعروف أن مظاهر تلك الإشكالية تبدو جلية فى العصر الحاضر ، فى ظل تنافس غير مقصود لأنه تنافس يفتقد المنهج والرؤية المخططة سلفًا .. والتنافس العشوائى فى الميدان به من الذاتية أكثر مما نود له من الأهداف الانسانية النبيلة ، إذاً فالتناغم شبه مفقود بين علماء : النفس والتربية والاجتماع والاعلام والأدب والفن وغيرهم من خبراء الميدان . مما أوقف - إلى حد بعيد - دقة الانطلاق والتأصيل أو الازدهار لمفاهيم ومصطلحية وأشكال التعبير الأدبى والفنى للطفولة .

إن أسس فاعدة الانطلاق الجادة لأدبيات الطفولة أصبحت مستعدة للاطلاق فى سماوات عالم الطفل ، بحيث يكون نبعها الأساسى نتاج الأدباء وتقعيد النقاد العلماء ، ثم تجيىء مجهودات منظومة الفريق العلمى والفنى والاعلامى ، وفى خط مواز لنتائج العلوم الانسانية المعاصرة حول الطفل ، وأساليب التخطيط التربوى فى أبعادها القومية (الثابتة والمتغيرة) وأزعم بعد ذلك - وبعض زعمى هنا اعتقاد - أن واقعنا الأدبى المعاصر فى مجال أدب الطفولة : « **تأليفًا ودرسًا** ووسيلة » ، **بحاجة إلى المزيد من تكريس الجهود لفض الاشتباك بين المتخصص وغير المتخصص ، بهدف ايقاف النافس غير الهادف فى حقل الطفولة** ، ولتكن الكملة الفصل للعلم بتجرده وموضوعيته ، لا لصاحب الأصوات العالية أو الشهرة الذاتية الزائفة ولو كانوا من أهل العلم أو سواه . اننا نجد فى الميدان المبدع هو الناقد ، وعالم النفس هو المنظر ، والمنظر هو خبير المناهج ، وخبير المناهج هو المخطط .. وأحيانا تجد الفارس فى كل ذلك .. الطبيب أو المسرحى أو أهل الخبرة وهم كثر ؟!! وليس من شك أن المدقق المتابع فى النتاج الموجه للطفولة فى العقدين الأخيرين - يقف فى حيرة - أمام ذلكم الخلط البائن فى تعددية مفهوم أدب الطفولة ذاته ومن ثم التنوع المضلل دون معايير سديدة فى المفهوم أو الوسيلة أو الهدف . إن ميدان أدب الطفولة من الميادين المتجددة وهو ميدان فسيح يسع اسهامات التخصصات الأدبية والنقدية والنفسية والتربوية والطبية وغيرها ، لكن الأهم أن يعرف كل متخصص موقعه فى الميدان وبالتالى مدى اسهامه فى منظومة أدب الطفل ، لأن الخلط الذى أشرنا إليه يهدد المسيرة أو يعرقل خطواتها ، وأرى فى ضوء ذلك أنه يجب ألا يزيد عن محورين فى الغالب وهما :

*** ثقافة الطفل**

أو * أدب الطفل

لكن المحوران السابقان يستخدمات للأسف بمفهوم واحد متعدد !.. ناهيك عن التوجه الغريب لأصحاب العنوانات الآتية تحت مظلة أدب الطفل ؟!..

« الألوان والطفل - صحة الطفل - التربية والطفل - تربية البنين - تربية البنات - أمية الطفل - الأذاعة والطفل - السينما والطفل - رعاية الطفل -

صحافة الطفل - كتاب الطفل - مكتبة الطفل - فنون الطفل - التليفزيون والطفل - ألعاب الطفل - ثقافة الطفل - القراءة والطفل - لغة الطفل - مسرح الطفل - قصة الطفل - وغيرها » .

وبالتالى تداخلت المفاهيم وتوزعت الأهداف ، فغامت الرؤية لدى المبدع والمخطط التربوى ، وقبل ذلك غامت الرؤية لدى الطفل ذاته الناقد الأول لأى نتاج معرفى أو وجدانى نتوجه به إليه .

إن أدب الطفولة ليس « سلة » نلقى بها دون وعى كرة تخصصات العلوم الانسانية أو الوسائط الفنية والاعلامية . يبقى التخصص الدقيق لكل مع الاستعانة بمنجزات كل . فالأدب له أجناسه وأنواعه وأشكال التعبير الأدبى فى مجاله العام والخاص . والطفولة مرحلة تتلقى ما يسد احتياجاتها ويشبع تذوقها الوجدانى وفقا لادراك مراحلها المتتابعة ، أما ذيوع « الوسائط » المتعددة - التى أشرنا إليها داخل حلبة الأدب - على حساب غياب الأدب ذاته ، سيعود بنا القهقرى .. ويحرمنا الافادة من أصل كل « نوع » ومن منجزات العلوم النفسية والتربوية ، فنقع أسرى للوسائط « السمعبصرية » أو لشذرات من قراءات عامة التى نادرا ما يكتبها المبدعون . إن اللقاء الحميم بين « الأدب » و« التربية » وغيرهما من العلوم سيفرز لنا العديد من الدراسات « البينية » لا المفتعلة فى نهج فوضوى .. وسيسد الطريق أمام الأدعياء « بحاث » أو « كُتاب » كل شىء فى أى شىء تحت مسمى أدب الطفولة .. وأعتقد أنهم لا يقلون خطورة فى تشكيل عقل الطفل ووجدانه عن سموم بعض النتاج المطبوع أو المسموع المرئى وبالأخص منها الوافد الاجنبى المعاصر .

وهذا الكتاب يتناول نفر من الرواد المحدثين فى أدب الطفل العربى فى مصر ممن توفرت على دراستهم بمرحلة الدكتوراه دراسة أكاديمية ، وقد تخيرت : ابراهيم بك العرب ، ومحمد الهراوى ، وكامل كيلانى ، دون سواهم ممن عاصروهم ، لأن اسهامات هؤلاء الرواد تنحو منهجيا منحى « الاتجاه الوظيفى » فى أدبيات الطفولة ، بينما وقفت اسهامات نظرائهم عند جانب وظيفى واحد مثل الوظيفة التعليمية أو الأخلاقية أو الفنية أو الوطنية فلم يتشكل نتاجهم ظاهرة فنية أو علامة

فارقة فى أدب الطفل الحديث ، خاصة وأن مجموع ابداعهم أو نظمهم أو كتاباتهم يعد ضئيلا بالقياس إلى انتاج كامل كيلانى أو محمد الهراوى . هؤلاء نذكرهم بالفضل أيضا أمثال : رفاعة الطهطاوى وعبد الله فريج وجبران النحاس والصاوى شعلان وبركه محمد وعلى عبد العظيم ومحمود غنيم وعادل الغضبان ومحمود أبو الوفا والسحار وغيرهم ممن عاصروا رواد « الاتجاه الوظيفى » فى أدب الطفل فى العصر الحديث كمحمد سعيد العريان وعطية شاهين ومحمد أحمد برانق وغيرهم .

أما الاتجاه الوظيفى الذى نقصده فهو وقوف غايات النتاج الابداعى المكتوب للأطفال فى أساسه عند **الوظائف المشتركة فى « رسالة أدب الطفل »** ونعنى بها الوظائف : الجمالية و(التربوية :/ اللغوية/ التعليمية) والفنية وقبل تلك الوظائف : الوظيفة الأخلاقية .

وهذا الكتاب أيضا تتمة لسلسلة قدمها **قلمى المتواضع فى ميدان التنظير والتحليل لأدب الطفولة فى العصر الحديث** ، فقد بدأتها بكتابى : « أدب الطفولة . أصوله مفاهيمه » ثم طبعة محدودة مجملة لكتابى « رواد أدب الطفل العربى » وكتابى الثالث « أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال » وهذا الكتاب بين يدى القارىء الكريم - « أدب الطفولة بين محمد الهراوى وكامل كيلانى » يمثل آخر نقطة حدود فاصلة بين الأدب العربى الحديث للطفل ، والأدب المعاصر له لأننا نؤرخ بوفاة كامل كيلانى فترة زمنية وفنية ينتهى عندها أدب الطفولة فى العصر الحديث .

فى ضوء ذلك أدفع بكتابى إلى المطبعة فى محاولة لنقد أدبيات الطفولة عند هؤلاء الرواد ، آملاً أن يمتد بى العمر لأكمل محاولاتى بالقراءة الناقدة للنتاج الإبداعى المعاصر (نثرًا وشعرًا) لدى نفر غير قليل من المبدعين المعاصرين فى مصر وبعض الأقطار العربية ، وهم على سبيل المثال والتهيؤ للدرس : سليمان العسى - ذكريا تامر - عبد الرازق جعفر - على الشرقاوى - محمد بسام ملص - على الصفلى - عبد الله خالد الخالد - فاروق سلوم - عبد الرازق عبد الواحد وغيرهم من الأدباء العرب .

ومن مصر : أحمد سويلم ونجيب الكيلانى وأحمد نجيب وحسين على محمد

وسمير عبد الباقى وعبد التواب يوسف وأحمد زرزور وفريد معوض ويعقوب الشارونى وأحمد الحوتى وغيرهم .

أما الرؤية الناقدة التى يقف عندها قلمى بالتناول فى كتابى هذا فهى « الرؤية الذاتية الجمالية التى تحلل أو تعلل معطيات النص الأدبى للأطفال وتقدِّره وفقًا لتذوق مبرر غير انطباعى ، لأن تلكم الرؤية تفيد من منجزات العلوم الانسانية الموازية فى علم الأدب ونقده ، من خلال استقراء عوالم الطفل وخصائص نموه المتدرجة وبالتالى التدرج فى مستويات اللغة والمضمون والخيال والنظرة الوظيفية . وبعد فمن الضرورى الاشارة إلى أسبقية النشر لغيرى فى « موضوع الكتاب » لا أسبقية التناول الزمنى والفنى ، فقد سبقنى إلى النشر المبدع أحمد سويلم بعنوانه « محمد الهراوى شاعر الأطفال » وهو مجهود محمود لصاحبه وينم عن ذوق فى الاستقصاء والجمع ودقة التحقيق والحاسة الابداعية النافدة ، وقد نشر ذلك الكتاب عن المركز القومى لثقافة الطفل بعد تقديم موضوع ذلكم الكتاب فى باب كامل من أطروحتى للدكتوراه بعامين مع اختلاف فى المنهج والنقد . أما الاسهام الآخر فللكاتب عبد التواب يوسف الذى نشر كتابه : الهراوى رائد مسرح الطفل العربى ، وديوان « الهراوى للأطفال » وديوان كامل كيلانى للأطفال بعناية الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الكتاب المصرى (بالاشتراك) ويذكر للكاتب مجهوده فى الجمع وعادة تبويب ونشر نصوص هؤلاء الرواد من مظانها الأولى ، وأود التنويه بأننى كنت قد تقدمت قبل إعادة جمعه للأعمال الآنفة ، بنظائرها مزودة بالدراسات التحليلية ضمن أطروحتى للدكتواره عام ١٩٨٦ م . فيحمد للكاتب أسبقية النشر ولنا أولوية التناول الأكاديمى (زمنيا وفنيا) .

وتبويب كتابنا هذا يسير على نهج زمنى وفنى مترابطين :

فالباب الأول الذى يلى المقدمة والتمهيد الفنى ، يتناول أحد الرموز الممثلة للاتجاه الوظيفى الجزئى فى أدب الطفل – وهو الشاعر ابراهيم بك العرب مؤلف ديوان آداب العرب وقد تناولت أشعاره بالدرس والاستقراء باعتبارها تمثل حلقة تربوية وظيفية (قررت على المدارس الأولية – ويومئذ منذ عام ١٩١١ م) ، بل

هو آخر الحلقات التى تلت مرحلتى : الترجمة والتعريب ، والتأصيل الفنى من مراحل نشأة أدب الطفل وتطوره فى العصر الحديث فى مصر . ينظر كتابنا : « أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال ») .

أما الباب الثانى فيتناول بالتحليل والنقد حياة الشاعر محمد الهراوى وشعره وآثاره مع سرد مختارات من نتاجه المتنوع الذى مثل ظاهرة فنية لبداية ذيوع الكتابة المستقلة لجمهور الطفولة ، وانفرد ذلكم الشاعر بريادتها الزمنية واسهامه الفنى فى تعبيد طرائق التأليف العربى المستقبل للطفولة .

والباب الثالث والأخير من الكتاب يقف عند الطريف أو الجديد فى حياة كامل كيلانى وأدبه ، إذ فصلنا إسهامه الشعرى فى الكتابة الشعرية للأطفال ، مع أنه عرف بحكم نتاجه القصصى الغزير ، الرائد الحقيقى لأدب الطفل القصصى فى العصر الحديث مع بدء ظهور نتاجه القصصى عام ١٩٢٧ م أى بعد ظهور دواوين محمد الهراوى بخمس سنوات . ونذيل الباب بمختارات من نتاج الكيلانى .

ونختم الكتاب بملحق يضم عنوانات بعض مؤلفات رواد أدب الطفل وقائمة بالمصادر والمراجع .

والكتاب فى النهاية يطمح إلى القاء الضياء على آخر الحلقات المضيئة من حلقات نشأة ادب الطفولة وتطوره فى مصر بين الأعوام (١٨٥٤ - ١٩٥٩ م) ، برصد نتاج رواده ومحاولة تحليل مضمونه ، والوقوف عند معايير الأدب للأطفال فى ضوء استقراء النص الأدبى لهؤلاء المبدعين الرواد .. وبعد ..

إن ميدان أدب الطفولة لايزال يعد بالعطاء مثلما يتسع ميدانه لأكثر من قلم ، ولكل ذى موهبة أو تخصص يتصل بذلكم الميدان الرحب الجميل .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

د . أحمد زلط

ص .ب (١٧١) الزقازيق

البـاب الأول

من رواد
الاتجاه الوظيفى
فى أدب الطفولة



أدب الطفولة : تأصيل تاريخي وفني :

حملت مصر مشاعل الريادة لأحد الفنون الأدبية المتجددة فى أدبنا العربى الحديث ، ونعنى بذلك الفن المتجدد : أدب الطفولة ، ففى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بين أعوام (٤٩ - ١٨٥٤ م) أتم الشاعر والمسرحى الرائد : محمد عثمان جلال (٢٨ - ١٨٩٨) ترجمة* معظم الحكايات الشعرية الخرافية الغربية إلى العربية نقلاً عن الشاعر الفرنسى (لافونتين) الذى كان قد تأثر فى صياغتها بالجذور المشرقية واللاتينية . وقد أطلق محمد عثمان جلال على كتابه المترجم : « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » الذى نعده من أوائل كتب أدب الأطفال فى الأدب العربى الحديث فى مصر . ولكنه يجب استقراء الفترة الزمنية التى ظهرت خلالها (العيون اليواقظ) تبعا لمقولة أوردها الشاعر عامر بحيرى فى صدر الطبعة المحققة من ذلك الديوان عن طبعة عام ١٩٠٨ م والتى أورد فيها على لسان محمد عثمان جلال : (أخذت أترجم فى الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسى الكبير لافونتين .. وهو من أعظم كتب الأدب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان ، على نسق كتب الصادح والباغم ، وفاكهة الخلفا .. وسميتها « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » ... فلما تم طبعها عرضتها على العزيز عباس باشا الأول ... فرمى كتابى فى وجه حامله)[1] ومن الثابت تاريخيًا ولاية عباس باشا الأول عرش مصر بين أعوام ١٨٤٩ - ١٨٥٤ م وفى ضوء تلك المقولة التاريخية يكون من المؤكد أن مؤلف « العيون اليواقظ » قد قدمه بعد أن أتم طباعته إلى عباس باشا الأول فى

(*) أتم محمد عثمان جلال تعريب حكايات لافونتين لعهد الخديوى عباس باشا الأول (٤٩ - ١٨٥٤) وطبع الديوان فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى (ط مدرسية) ، وقد أشرنا فى بحثنا للدكتوراه إلى مرحلة الترجمة والتعريب حول نشأة أدب الطفولة الحديث كأول مجهود عربى راده (محمد عثمان جلال) .

انظر : شعر الطفولة فى الأدب المصرى الحديث ، أطروحة دكتوراه ، مخطوطة ، آداب بنها ، جامعة الزقازيق ، (٨٦ - ١٩٩٠ م) .

(١) العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر بحيرى ، المقدمة ط الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٨ م .

فترة ولايته . وقد عثرنا على الطبعة المدرسية الأولى من « العيون اليواقظ » وهى نسخة أصلية* فى حوزة المؤلف ، ويرجع تاريخها إلى عام (١٣١٣ هـ - ١٨٩٤ م) أى أنها طبعت لعهد عباس حلمى الثانى . إن إصدار مجلة « روضة المدارس المصرية » فى عام ١٨٧٠ م ونشرها المواد الأدبية للطلاب والكُتّاب ، يمثل - فى ضوء ذلك - مرحلة التأليف غير المسبوق فى نشر الكتابات الأدبية للناشئين ، لأن أغلب حكايات محمد عثمان جلال - الأسبق زمنياً - والمترجمة على ألسنة الحيوان لانعدها من التأليف المصرى الأصيل لاعتماد مؤلفها على التعريب لخرافات لافونتين ، بينما (أحدثت روضة المدارس فى الوسط المدرسى والتعليمى حركة جديدة ، وحركت همم الطلاب إلى اقتنائها ، فقد كانت موضوعاتها ومقالاتها والفصول التى تنشر فيهاموضوعًا للمناقشة فيها بين الطلاب بعضهم بعضًا من ناحية ، وبين الطلاب ومدرسيهم من ناحية أخرى ، وحرص الطلاب على قراءة المجلة ، كما حرصوا على الكتابة فيها[1] كانت الروضة معرضًا لأقلام كبار الكُتّاب أمثال رفاعة الطهطاوى ، وعلى رفاعة الطهطاوى ، وعبد الله فكرى ، وعلى مبارك ، وصالح مجدى ، وحسين المرصفى ، وحمزة فتح الله وعبد الله أبو السعود ، ومحمد عثمان جلال وغيرهم ، ومن نوابع التلاميذ - يومئذ - محمود وهبى ، ومحمد حشمت ، ومحمود حمدى ، وأحمد نجيب وإسماعيل صبرى وغيرهم من تلاميذ الديار المصرية .

ونستطيع القول فى اطمئنان ، أن أول رافد ثقافى غذى مسار أدب الأطفال فى إطار انبثاقته الأولى فى مصر - أنه - تمحور عند سائر النتاج الأدبى الذى نشرته « روضة المدارس المصرية » للطفولة والناشئة بين أعوام ١٨٧٠ - ١٨٧٧ م ، بما نشرته لتلاميذ المدارس مع أساتذتهم وكوكبة الأدباء فوق صفحات تلك المجلة الرائدة من كتابات تربوية ونصوص أدبية للناشئين ، حقاً ، لم يكن قد تأصل بعد المفهوم الاصطلاحى لأدب الطفل ، ولكنه من الانصاف القول بأن ميلاد أدب الطفل الحديث فى مصر - بمعناه العام سار فى خط مواز مع ميلاد مجلة روضة

(*) نسخة أصلية تامة يعدها العديد من الباحثين (مجهولة) .

(١) مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية محمد عبد الغنى حسن د . عبد العزيز الدسوقى ، ص ٨٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .

المدارس ، كأول وأهم مجلة مدرسية واسعة الانتشار ، حظى الأدب بنصيب موفور فوق صفحاتها ، من التلاميذ أنفسهم واليهم . لذلك يؤرخ العديد من الدارسين الذين تناولوا التأريخ لأدب الطفولة بعام ١٨٧٥ كبداية لنشأة أدب الطفل فى الأدب العربى الحديث ، دليلهم اصدار « رفاعة الطهطاوى لكتابة المرسوم (المرشد الأمين فى ترية البنات والبنين) . بينما الترجيح الأقرب إلى الصواب لميلاد أدب الطفل العربى – حول رافد الصحافة – يعود إلى عام ١٨٧٠ م وهى السنة التى شهدت اصدار مجلة « روضة المداس المصرية » ولا يعنى ذلك التاريخ الأخير أنه يقترن بصحافة أدبية متخصصة فحسب وإنما بصحافة كانت تتوجه – يومئذ – فى أساسها إلى تلاميذ مدارس الديار المصرية ، وتهتم باللغة ، والأدب وبكتابات التلاميذ قدر اهتماماتها الثقافية أو المعرفية الأخرى « إذ حافظت روضة المدارس على اللغة العربية الفصحى ، فاتخذتها لغة أدائها ، ووسيلة تحريرها ، واختارات من كتابها وأعضاء مجلس تحريرها ، ونوابغ التلاميذ فى المدارس والمعاهد من استقامت لغتهم ، وسلمت عبارتهم »[1] .

ولقد توفر تلاميذ الطهطاوى على اصدار كتابه المرسوم «المرشد الأمين » فى عام ١٨٧٥ م بعد أن نشره فصولاً فوق صفحات روضة المدارس ، فى سلسلة ملاحقها الدورية ، وهذا الكتاب يعده بعض الدارسين البذرة الأولى فى تربية أدب الأطفال فى الأدب العربى الحديث وقد المحنا أنفًا إلى وجود البذرة الأولى فى أدب الطفل فى مصر عن طريق ترجمة أصول حكايات « العيون اليواقظ » لمحمد عثمان جلال ، ثم تلتها حركة ترجمة أخرى لأحمد بليغ فى عام ١٨٧٥ عندما نشرت « روضة المدارس » الأدب الوعظى والنصائح الأخلاقية على يد رفاعة الطهطاوى باصدار كتاب « المرشد الأمين » والذى نشرته « روض المدارس » فصولاً اعتبارا من العدد السادس عشر من سنتها الخامسة إلى أن ظهر مستقلاً فى كتاب سنة ١٢٩٢ هـ – ١٨٧٦ م ويميل المؤلف إلى رأى الاستاذ المجمعى محمد عبد الغنى حسن القائل بعد تفصيل محكم لأبواب « المرشد الأمين » : أنه كتاب تربوى

---

(١) مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية محمد عبد الغنى حسن د . عبد العزيز الدسوقى ، ص ٦٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .

أخلاقى فى أساسه ، مع نتف أدبية تجىء عرضا فى ثناياه وتتعلق بالأدب والطفل فيذكر :

(... رتب رفاعة الطهطاوى كتابه هذا على مقدمة وأبواب مشتملة على فصول وخاتمة ، فتحدث فى الباب الأول عن الإنسان ونسبته إلى غيره من المخلوقات وفى الباب الثانى تحدث عن الصفات التى يشترك فيها الذكور والاناث ، والصفات التى ينفرد بها كل جنس ، وفى الباب الثالث تحدث عن التعليم وأنواعه ، وهنا فى هذا الباب يحدثنا الشيخ عن الوطن حديثًا مؤثرا فيه بعض الاسجاع ، وفى باب آخر يحدثنا الشيخ عن الزواج والتسرى .. وفى باب سادس يحدثنا عن أسباب عمار البيوت والمنازل ، وفى باب سابع يحدثنا عن الأقرباء وحقوق بعضهم على بعض وخص بر الوالدين بفصل من فصول هذا الباب ...)[1] .

لو أعدنا قراءة فقرة من مقدمة المرشد الأمين « سنكتشف المقاصد التربوية التى من أجلها تم تصنيف هذا الكتاب يقول الطهطاوى فى المقدمه : « صدر لى الأمر الشفاهى ، من ديوان المدارس ، بعمل كتاب فى الآداب يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية)[2] أن تكليف الطهطاوى بعمل كتاب فى الآداب ، لا يعنى التصنيف الأدبى بعناه الفنى ، والمرجح أن المقصود بـ (الآداب) فى عبارته هو تأكيده على مفهوم الأداب بمعناها العام وفى إطارها الاجتماعى الأخلاقى فى السلوك والعادات ، على نحو ما قاله به - أنفًا - المرحوم الأستاذ المجمعى : محمد عبد الغنى حسن ، هذا من ناحية ، ومن الرؤية التربوية الجديدة بعد دخول البنات - كالصبيان - ميدان التعليم من ناحية أخرى . فالكتاب فى ضوء ما عرضنا ليس من أوائل الكتب التى يؤرخ بها الدارسون لميلاد أدب الطفل ، وإنما نزعم أن روضة المدارس - بما نشرته من مواد أدبية تخاطب أفهام التلاميذ ومشاعرهم ، وما نشرته لبعض التلاميذ - هى أول شمعة فى ميدان وسائط أدب الطفولة قبل سواها من الدوريات العامة أو المتخصصة ، وبخاصة ميدان التأليف فى

(١) مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية ، محمد عبد الغنى حسن (بالاشتراك) ص٨٠ .

(٢) المرشد الأمين ، رفاعة الطهطاوى ، طبعة مطبعة المدارس الملكية ١٩٧٥ م . (الشافهى ، هكذا فى الأصل) .

أدب الطفولة أما الأدب المترجم للطفولة فقد وقفت ريادته عند محمد عثمان جلال في منتصف القرن التاسع عشر .

إن احتفال مجلة روضة المدارس باللغة العربية وآدابها ، أسلوبًا ومعنى سار فى خط مواز لغايات المجلة الأدبية ، ومقاصدها التربوية ، ولعل الخطوات التى قطعتها روضة المدارس فى مسار أدب الأطفال المكتوب كان تتمة لجهود رفاعة الطهطاوى التى سبقت اصدار الروضة عندما (أدخل قراءة القصص والحكايات فى منهج الدراسة لتلاميذ « مدارس المبتديان »* على عهد محمذ على بمصر)[1] وليس غريبًا أن يضع ابنه « عليًا » شعار روضة المدارس :

تعلم العلم واقرأ تحز فخار النبوة
فالله قال ليحيى (خذ الكتاب بقو)[2]

ويزعم المؤلف – فى ضوء ما تقدم – أن أدب الأطفال العربى ، نشأ وتكون فى مصر حول مجلة « روضة المدارس المصرية » تأليفًا وتوجهًا وانتشارًا ، غير أننا واجدون قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان ارهاصات تكون أدب الطفل ولكن فى إطار الترجمة ومقطوعات المحفوظات فى مناهج التعليم ، من مثل : « العيون اليواقظ » لمحمد عثمان جلال إلى أخر قائمة كتب المترجمات للطفولة والتى شملت القصص والحكايات والأمثال** لقد أسهمت روضة المدارس فى تعبيد الطريق أمام أدب الأطفال ، بما نشرته للتلاميذ من مواد أدبية ، وبما خلفته من وعى قرائى بينهم .

لقد احتلت « روضة المدارس » مكانة خاصة فى الصحافة الرسمية ، كانت هذه الجريدة التى أنشأها على مبارك عام ١٨٧٠ م ، بغرض دعم الجهاز التربوى الذى أقامه ، تستهدف تشكيل عقول وأحاسيس التلاميذ والمثقفين ، وقد عهد بادارتها

(*) المدارس الابتدائية .
(١) تاريخ التعليم عى عهد محمد على د . أحمد عزت عبد الكريم ، ص ١٧٤ ط القاهرة ١٩٣٨ م .
(٢) مجلة روضة المدارس ، العدد الأول (شعار) وضع تحت عنوان المجلة .
(**) انظر : تاريخ التعليم ، د . أحمد عزت عبد الكريم ص ١٧٣ – ١٨١ .

إلى الطهطاوى التى أصبح ابنه على رئيساً لتحريرها ، وكانت هيئة التحرير أشهر الأسماء فى العصر[1] .

إن اهتمام « روضة المدارس » بنشر الأنواع الأدبية ، بشكل منتظم فى المقامة والقصة بأنواعها ، والشعر ، وشعر الألغاز ، والمقالات الأدبية إلى جانب الموضوعات العامة الأخرى أسهم فى تشكيل قاعدة عريضة من التلاميذ القراء ، وفى تشجيع النوابغ وهواة الأدب منهم ، لذلك ألفنيا « روضة المدارس » روضة زاخرة بالأنواع الأدبية متنوعة الأساليب والاتجاهات ، تستهدف فى بنيتها ومضمونها - فى كل عدد - تلاميذ المدارس المصرية ، ومن الطبيعى أن « روضة المدارس » بحاجة إلى مزيد من البحوث العلمية المستقلة فى التاريخ الأدبى والتربوى والاعلامى . ها نحن نعرض لنموذج مما نشرر بها فى ميدان الشعر على سبيل الاستشهاد ، يقول الشاعر إسماعيل عاصم (ملغزا) .

ما اسم شىء للناس بالنفع قد عم ... نصفه مهمل وباقية معجم

ورباعى الحروف فى العد لكن ... حاز كل العلوم والله أعلم

نصفه الأول رشف لذيذ ... تارة والهلاك يحصل من ثم

وترى نصفه الزهر به الخسران ... جاد أو كان لفظًا لم نم

ولدى قلبه بدا القطع فيه ... تارة أويرى كساء منمنم

وإذا ما حذقت طرفيه تلقا ... مسكويًا للمال والكسب مغنم

وعلى كل حالة لا غنى للناس عنه ... إن كان عقلها ثم

فتفضل وجد يكشف رموز اللغز ... هذا لازلت فينا مكرم

ولم تخل الأعداد التى صدرت من « روضة المدارس » من شعر الألغاز الذى كان أشبه بمباراة أدبية وفكرية بين الشعراء والقراء وجمهور التلاميذ . وحظيت عدة أسماء بشهرة فى هذا المجال أمثال إسماعيل عاصم بإسهاماته المتكررة ومصطفى صبحى ، وأسعد طراد ، وأحمد نظمى ، وحسين الشبابى ومصطفى جلال وغيرهم .

ومن الشعر الأخلاقى الذى نشرته روضة المدارس هذه المنظومة للشباسى[2]

---

(١) نهضة مصر ، د . أنور عبد الملك ، ص ١٨٩ ، ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣ م .

(٢) المرجع السابق السنة الثانية ، العدد ١٢ ، ص ١٦ .

البر بالأباء فرض لازم
من برهم فهو النجى الحازم
فاطع أباك وكن لأمك تحت رف
مسترضيًا لهما لئلا تحترق
واحذر عقوقهما الذى قد حرما
ويحل صاحب المسرة جهنما

وقد استهل محمد عثمان جلال منظومة له عنوانها « قواعد فى فن الشعر » يستهدف الوظيفة التعليمية[1] :

لا تحسب المرء يكون ناظماً ولا يعد فى القوافى عالمًا
ولا يكون فى القريض عده يعرف جذر بحره ومده
إلا إذا أوحى فى القوافى إليه بالمعنى الرقيق الشافى

إن أول ما نلاحظه من افتتاحية العدد الأول من « روضة المدارس المصرية » هو العناية بالأدب كأسلوب تربوى ، يحقق الفائدة التعليمية للناشئين والكمال التهذيبى المستهدف لشخصياتهم ، يقول على رفاعة الطهطاوى فى ذلك الشأن « إن مواد روضة المدارس ، ستجىء بقلم سهل العبارة ، واضح الاثارة ، وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجسمة لصعب التراكيب ، ومعان رجيحة تنخرط فى سلك مستحسن الأساليب وافية بكمال التهذيب[2] .

ولو تركنا مجلة « روضة المدارس » للوقوف عند روافد أخرى شكلت إرهاصات نشأة أدب الطفل فى الأدب العربى الحديث ، لألفينا ترجمة لـ « عقلة الصباع » و« وحكايات الأطفال » لتلاميذ المدارس الأولية فى إطار ترجمة الكتب الأجنبية الحديثة لتلاميذ المدارس ، إذ كانت « حكايات الأطفال » و« عقلة الصباع » من

---

(١) روضة المدارس المصرية السنة الأولى شعر إسماعيل عاصم ، ع ١٠ ، ص ١٩ .
(٢) مجلة روضة المدارس ، الافتتاحية ، على رفاعة الطهطاوى ، ع ١ ، أبريل ١٨٧٠ مطبعة وادى النيل .

أوائل الكتب التى قررتها نظارة المعارف - يومئذ - على تلاميذ الصفين الأول والثانى بمدارس المبتديان فى مصر*.

وفى عام ١٨٨٣ ترجم الأدب « يونا وفتورا » كتاب (لطائف الأقوال فى القصص والأمثال)(١) عن الآداب الأجنبية ، فى جزأين يضمان اثنتين وستين قصة ومثلاً ، والكتاب فى مجملة ترجمة للأقوال البليغة والأمثال الحكيمة والقصص الشعبية فى الآداب الأجنبية مما يحقق للأطفال المتعة والفائدة ».

وقبل أن تصدر الطبعة الأولى من « الشوقيات » ببضع سنين أصدر الشاعر عبد الله فريج كتابه الموسوم « نظم الجمان فى أمثال لقمان » فى عام ١٨٩٣ ، وهذا الكتاب يفتقد إلى روح الشعر فمنظومات الكتاب تقوم على محاكاة أمثال لقمان الحكيم المألوفة فى نظم شعرى جاف ، ولكنه نظم يقترب من النثرية أو التقريرية ، برغم أن مؤلفه كتب كلمة أدبية ضافية فى مقدمته ، أما محتوى الكتاب فيتضمن خمسين مثلاً صبها المؤلف صبا فى قالب بحر الرجز .... حول الحيوانات والطيور والحشرات والإنسان ، وكان ينهى كل أرجوزة بإيراد مثل مأثور من أمثال لقمان الحكيم . يقول عبد الله فريج فى مقدمة « نظم الجمال فى أمثال لقمان » : عمدت إلى أمثال سيدنا لقمان الذى شهد له تعالى بالحكمة فى منزل القرآن وإلى ما جرى ذلك من الأمثال الرائعة ذات الأبيات راسخة القافية ... ثم جعلتها خدمة أدبية لتلاميذ المدارس الابتدائية .

ويشهد منتصف عام ١٨٩٣ م = ١٣١٠ هـ ظهور أول دعوة عربية من مصر لبث الأدب التهذيبى والوعى القومى فى نفوس نابتة الأمة ، فوق صفحات مجلة (المدرسة)** .. والمثير للاعجاب هنا أن تنطلق الدعوة من السياسى الوطنى

(*) المدارس الابتدائية .

(١) لطائف الأقوال فى القصص والأمثال ، للأب يونا وتورا ، ط الأباء المرسلين اليسعويين ، بيروت ١٨٨٣ .

(**) أصدرها فى ١٨٩٣ وكان يديرها ويحررها كلها بقلمه ، ثم بعد ذلك اشترك معه كتاب آخرون من أقرانه ، فكانت أول مجلة مصرية يصدرها طالب ، وكان يطبعها فى مطبعة المحروسة ، وقد اتخذ لها شعارًا « حبك مدرستك ... حبك أهلك ووطنك » ، وقد بلغ عدد المشتركين فيها ٢٤٠٠ مشترك ، أكثرهم من طلبة المدارس الابتدائية ، وبلغ قيمة الإشتراك السنوى فيها ثمانية قروش ، كانت تصدر عشر أشهر =

الشاب (مصطفى كامل) . فقد التقي بقرائه وهو بعد غض فى مدرسة الحقوق (يومئذ) ، فأسس مجلة المدرسة ، مؤمنا بالنشىء على أساس أنهم قوام المستقبل ، فكتب لهم لتكون كتابته سداً يحول دون تسرب اليأس – الذى أحاط بالكبار – إلى قلوبهم[1] .

يقول الزعيم الوطنى مصطفى كامل مشيرًا إلى أهداف مجلة المدرسة للناشئين : « ما أنشئت المدرسة إلا لكى تكون مركزًا لجمع دور فوائد الاستاذ ومنهلاً غزيرًا لا تخاف التلميذ بأثمن الفوائد وأسماها ، وأبهج اللطائف وأسنا ها فيهدى الأول من محاسن معارضة ما يجود به علينا ، ويهدى الثانى من حلل العلم والأدب ما نورده وما يرد إليها »[2]

واستقراء الفقرة السابقة نلاحظ كيف تنوعت دعوته المبكرة بين الأدبين التعليمى والتهذيبى وها هى محاورة أنشأها بين استاذ وتلميذ حول ضرورة تعلم اللغة العربية فيذكر :

التلميذ – ... وهل ياسيدى يجب على أن أتقن معرفة اللغة العربية أكثر من غيرها وإذا كان فلم ذلك ؟ .

الأستاذ – نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك الشريفة التى أنزل بها القرآن المعمول بها فى البلاد .

التلميذ – وإذا اتقنت معرفتها أيجب علىّ أن أتكلم بها دائمًا ؟.

الأستاد – ولم لا[3]

ودعا مصطفى كامل أيضًا إلى أهمية تزويد الأطفال بمكارم الأخلاق اكتسابهم القيم الدينية ، فيشير إلى ذلك مستعينًا بأبيات منظومة :

= وتحجب شهرين فى العام ، إلا أنه لم يصدر منها إلا تسعة أعداد فقط ، ننشر هنا أهم المقالات التى وردت فيها ، وقد اشتركت فيها نظارة المعارف ، بشراء خمسين نسخة من كل عدد . (على فهمى كامل : مصطفى كامل باشا فى ٣٤ ربيعًا ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٠٨ ص ١٩٨٤ – ١٨٥ .

(١) أوراق مصطفى كامل . د . يوافيم رزق ، المقدمة ، ط هيئة الكتاب ، ١٩٨٦ م .

(٢) مجلة المدرسة ، ع السبت ١ شعبان ١٣١٠ هـ ، ط المحروسة ، القاهرة .

(٣) انظر : مجلة المدرسة ، تتمة المحاورة ع الأحد ١ رمضان ١٣١٠ هـ .

إن المكارم أخلاق مطهرة   فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحرم رابعها   الوجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها   والشكر تاسعها واللين عاشرها[1]

إن مكارم الأخلاق فى جميع الصفات الجليلة التى تجعل الإنسان عظيمًا موقرًا محترمًا عند الخالق وعند الناس ، وقد اتصف أشرف الأمم وروح الفضائل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الأخلاق فكان رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر الصحابة وأمته على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرمات .

وقد ألمح مصطفى كامل إلى أهمية الأناشيد الحماسية ، والمقطعات القصيرة المنظومة فى بناء وجدان الصغار ، فأفرد فى كل عدد من أعداد « المدرسة » مساحة للأناشيد الوطنية المحملة بالقيم ، يقول مصطفى كامل :

« ولما كان اسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا على أن ندرج فى كل عدد من أعداد جريدتنا نشيدًا أو نشيدين على نمط السلاسة والتهذيب التام حتى أنه بعد مضى خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجمعها فى كتاب نضم إليه بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهذيب الأبناء وأنا لانعدم فى ذلك العمل مساعدة الفضلاء والأدباء والشعراء* » ، وإلى القراء نشيدًا جاءت به القريحة نعدة باكورة لهذا العمل :

هلموا يابنى الأوطان طرا   لنرجع مجدنا ونعز مصرا
هلموا كى نوفى القطر حقا   نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العليا حتى   تنال بلادنا عزاً وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء منكم   وكونوا أوفياء فذاك أحرى
أليس يشيننا ترك المعالى   تباع بغير وادينا وتشرى
ونحن رجالها وبما لديها   من الاسعاد والخيرات أدرى

---

(١) المرجع السابق ، العدد نفسه .

(*) الملاحظ هنا أول دعوة نظرية لحفز الأدباء للكتابة للناشئين وقبل دعوة أحمد شوقى لذلك أيضًا كما ورد بديوان الشوقيات عام ١٨٩٨ م .

نسينا البر للنيـل المفدى وخلنـا - أننا جئنـاه برا
فعار أن نسمى الذال عزا وعار أن نسمى الشح برا
وعار أن نعيش بغير مجد وبنصر فى السنا شمسًا وبدرا
وعار أن يكون لنا وجود ويحظى غيرنا فوزًا ونصرا
فقوموا وأطلبوا للنيل عزا ولا تبقوا بذل كى يسرا
وسيـروا نحو هـذا الفهد حتى تنادوا أجمعين بعز مصرا[1]

ولم تقف إسهامات مصطفى كامل فى تعبيد الطريق أمام أدب الطفولة عند مجلة « المدرسة » بل كتب فى « المؤيد » و« الأهرام » وغيرهما ، والالتفات إلى رؤية مصطفى كامل نحو (ناتبة الأمة) يجد الأبعاد التربوية الصائبة والمقصود بها ترقية مدارك وأحاسيس الناشئة والسنتهم ، وفى ذلك يذكر :

« إن أساس التربية الصحيحة تقوية ملكة اللغة الوطنية (العربية) عند الناشئين أى تعليم اللغة العربية الجليلة جدًا وتدريس كل المعارف والعلوم باللغة العربية»[2] وقبل أن يطرح ذلك الرأى بيومين فقط سجل فوق صفحات المؤيد يقول إذ ينبه على أهمية تعلم العربية :

« ... وطالما قلنا وكررنا أن مقصد الانجليز فى نظارة المعارف قتل الوطنية وإعدام كل إحساس شريف عند الناشئين »[3] .

ومع اعجابنا بدور مصطفى كامل فى الدعوة المبكرة لأدب الطفولة كهدف موازٍ لنمو الوعى القومى والتغير الحضارى ، فإننا نختلف معه فى التعريف الذى حدده لمراحل حياة الكائن البشرى بقوله (الطفولية ، الشبيبة ، الرجولية ، الكهولة*) لكننا على أية حال نومىء إلى اسهاماته المهمة فى مجال أدب الطفولة وهو جانب مضىء أزعم عدم الالتفات إليه - آنفا - من قبل الباحثين .

---

(١) مجلة المدرسة ، ع ربيع الأول ، ١٣١١ هـ .
(٢) صحيفة المؤيد ، ع ٢٥٩١ المؤرخ ١٠ / ١٠ / ١٩٨٩ م .
(٣) صحيفة المؤيد ، ع ٢٥٨٩ المؤرخ ٨ / ١٠ / ١٨٨٩ م .
(*) انظر عدد مجلة المدرسة ، أول ذى القعدة ١٣١٠ هـ . لمزيد من التفاصيل حول الآراء والكتابات النثرية والشعرية انظر مجلات : المدرسة ، والمؤيد والأهرام وأوراق مصطفى كامل بين الأعوام (١٨٨٩ - ١٨٩٨) .

وعندما أصدر أحمد شوقى ديوان « الشوقيات » فى طبعته الأولى عام ١٨٩٨ م ألفينا بين دفتى « الشوقيات » دعوته النظرية لقيام أدب الطفل مقرونة بالحكايات والقصص الشعرية للأطفال فكان ذلك بمثابة بداية حركة التأليف الأدبى للأطفال وقد أثبت أحمد شوقى فى مقدمة ديوانه أنه تأثر بأسلوب نظم لافونتين لحكاياته دون إشارة منه لمحاولة محمد عثمان جلال الرائدة فى التعريب فى « العيون اليواقظ » . يقول أحمد شوقى فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات : (.. وجربت خاطرى فى نظم الحكايات على أسلوب « لافونتين » الشهير .. وأنا استبشر قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم)[1] .

ويحث صديقه الشاعر خليل مطران للتعاون فى إرساء قواعد جديدة لأدب الطفل فيذكر : (... ولا يسعنى إلا الثناء على صديقى - خليل مطران - صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج فى نظم الشعر وبين نهج العرب .. والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية[2] .

والاستقراء التاريخى للمقولة السابقة يضعها فى مكانها الصحيح باعتبارها دعوة لاحقة على دعوة مصطفى كامل بخمس سنين ، لكن الدعوة النظرية المقرونة بالإبداع الفنى (النتاج الشعرى عند شوقى) جعلت البحاث ينظرون إلى ريادة شوقى فى الدعوة لأدب الطفل ، فى اهمال غير مقصود لدعوة مصطفى كامل التى سبقت دعوة أحمد شوقى .

وقبل أن تطبع الشوقيات طبعتها الثانية كتب أحمد شوقى قصيدة عنوانها « دولة السوء » نشرها عام ١٩٠٠ م بالمجلة المصرية يقول د . غنيمى هلال : (.. وبدا لشوقى أن الشعر الغنائى لا يكفى لبث آرائه ، فلجأ إلى القالب الموضوعى قالب القصة على لسان الحيوان ، ثم المسرحية ، ونشير هنا إلى قصة له على لسان الحيوان ، نشرها عام ١٩٠٠ م فى « المجلة المصرية » وحرص بعد ذلك على ألا ينشرها فى دواوينه ، خوفاً على نفسه وعنوانها « دولة السوء » وهى ذات مغزى

(١ ، ٢) ديوان الشوقيات ، المقدمة ، ط ١ ، مطبعة المؤيد والآداب ١٨٩٨ م .

إجتماعى هجائى[1] . وإذا كانت الشوقيات فى طبعتها الأولى قد تضمنت عددًا من الحكايات الشعرية على ألسنة الحيوان ، فإنها استبعدت من الطبعات اللاحقة ، ولكن الجزء الرابع من الشوقيات المطبوع عام ١٩٤٣ بعناية محمد سعيد العريان ضم خمساً وخمسين منظومة ، بينما ضم الجزء نفسه المطبوع عام ١٩٥١ ستا وخمسين .. وقد جمعت هذه المنظومات فى كراس بعنوان « منتخبات من شعر شوقى فى الحيوان » وأعاد كاتب الأطفال المعاصر عبد التواب يوسف جمع مقطوعات أحمد شوقى عن الأطفال ولهم وأصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب تحت عنوان ديوان شوقى للأطفال[*] .

ثم قام على فكرى (١٨٧٩ - ١٩٥٣ م) فى عام ١٩٠٣ بإصدار « مسامرات البنات » وهو عبارة عن أشتات مجتمعات فى أدب التسلية ، وعظات دينية وأخلاقية وذكر خصال النساء ، ولا نعده من كتب أدب الأطفال لتنوع مادته الأدبية والدينية والتاريخية ، ولكن كتابه « النصح المبين فى محفوظات البنين » ورصيفة « فى تربية البنين » ونظيره « فى تربية البنات » (أصدرهما عام ١٩١٦) من الكتب الأولى التى ساهمت فى تعبيد طرائق أدب الطفل الحديث فتوفر على المنظومات والأناشيد الشعرية فى إطارها التعليمى والأخلاقى .

وفى عام ١٩١١ م ظهر كتاب « أداب العرب » وهو منظومات شعرية متنوعة للأطفال سار فيها مؤلفها إبراهيم العرب (١٩٢٧ م) على طريقة « لاقونتين » وقد قررته نظارة المعارف بمصر - أنداك - على تلاميد المدارس الأولية[2] وتضمن كتاب أداب العرب بمنظومة الختام (مائة) منظومة شعرية[**] ودارت جميعها على ألسنة الحيوان والطير ، غايتها إيراد العظة فى أسلوب شعرى قصصى ، يقول إبراهيم العرب فى منظومة ختام الكتاب حول حكاياته :

أمثال صدق تجلت لا مثيل لها ... معنى صحيح ولفظ فيه تجويد

---

(١) فى النقد المسرحى ، د . محمد غنيمى هلال ، ص ٩٤ ، ط بيروت ١٩٧٥ م .

(*) انظر : منتخبات من شعر شوقى فى الحيوان ، ط المكتبة التجارية القاهرة ١٩٤٩ م .

(٢) مسامرات البنات ، على فكرى ، مطبعة اللواء ، ١٩٠٣ م .

(**) عنون المؤلف كل منظوماته بلفظ : العظة الأولى ، العظة الثانيه ، وهكذا إلى العظة التاسعة والتسعين ثم يشير إلى الحكاية بإسمها كالطاووس ، والنحلة ، الكلب والهر ، وغيرها .

ضمنتها النصح والأغراض شاهدة وفى لسان الفتى للحق تأييد
وهــذه جمــل مملوءة حكـــمًا من دون نشر شذاها الند والعود

والملاحظ أن شاعرية إبراهيم العرب تتجاوز سلبيات منظومات « نظم الجمان » لعبدالله فريج لاقترابها من روح الشعر وغاية الأدب التعليمى فحسب .

وفى عام ١٩١١ أعاد أحمد شوقى حكايات الأطفال فى الطبعة الثانية من الشوقيات ، إلى تلك الفترة الزمنية نستطيع أن نصف البدايات الأولى لنشأة أدب الأطفال فى الأدب العربى الحديث بأنها نشأة اعتمدت على أساسها الفنى على الترجمة والاقتباس والتأثر بالأدب الغربى الحديق بعامة وحكايات لافونتين الخرافية بخاصة ، وفى الواقع أن مصطلحية : أدب الطفل التى دعا إليها أحمد شوقى فى صدد حديثه عن التعاون بين معشر الأدباء لقيام جنس أدبى للطفل ، ظلت إلى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين تقريبًا ، تدور فى فلك الإتجاه التعليمى : تلقين والمعارف والآداب الحميدة ، والعظات المباشرة إذا استثنيا معظم حكايات أحمد شوقى للأطفال المجملة بالأدب الرمزى فى إطاره التعليمى . وفى عام ١٩٢٢ أوقد الشاعر محمد الهراوى أو شمعة عربية ناضجة فى ميدان أدب الأطفال ليعبد الطريق للمبدعين للتوفر على التأليف الإبداعى المستقل والمناسب للطفولة ، حيث أصدر ديوانه الأول « سمير الأطفال » وفى العام التالى أصدر الطبعة الثانية منه ، وتوالى إنتاج هذا الشاعر الرائد فى مجال التأليف الشعرى المتنوع للطفل .

وفى عام ١٩٢٧ راد الأديب كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) التأليف القصصى للأطفال فأصدر قصته « السندباد البحرى » كأول محاولة قصصية حديثة يقوم بها أديب عربى بالتأليف للطفل خارج المقررات المدرسية ، وأتبعها بمكتبة قصصية كاملة للطفولة (من فترة رياض الأطفال إلى نهاية الطفولة المتأخرة) وطبعت قصصه فى حياته غير مرة وبعد وفاته عام ١٩٥٩ . وفى خط مواز كان محمد الهراوى يقوم بأصدار مجموعة من الأغانى التوقيعية لرياض بين عامى ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ والطريف أنه أثبت مع أغانيه الشعرية للأطفال « النوتة » الموسيقية مثل : بائع الفطير وأغنية جحا والأطفال ، شمس الضحى ، وليلة القمر وغيرها* .

(*) انظر الباب الأخير من دكتوراه مخطوطه للمؤلف بعنوان ، مرجع سابق .

وطوال عقد الثلاثينات من القرن الحالى كان النتاج الأدبى لمرحلة الطفولة فى أطوارها المختلفة ، ينمو ويتنوع ، بفعل جهود التأليف للأطفال التى رادها كامل الكيلانى فى النثر ومحمد الهراوى فى الشعر واتسم نتاجهما للأطفال بالأصالة والغزارة والتنوع ومراعاة خصائص أطوار مراحل الطفولة ، ولا نبالغ إذا قلنا أن مكتبة كامل كيلانى للأطفال تعدل فى قيمتها الفنية ودرجة الأقبال عليها من جمهور الاطفال والآباء والأمهات ، ما حققته كتابات هـ اندرسن فى الأدب الغربى . ويشير الماحى فى مقالة عنوانها « أدب الطفل » فيذكر : (... وكلنا نعرف فضله وسبقه « كامل الكيلانى » فى هذا الميدان ، ونعلم كيف استقبل العالم العربى ، بل كيف استقبلنا – نحن الأباء – تلك المنتجات الفكرية كفتح فى أدب الأطفال ...)[1] . كما يؤكد شاعر القطرين « خليل مطران » على ريادة الكيلانى فى إنشاء مكتبة الأطفال القصصية فيذكر (.. لو لم يكن للأستاذ الكيلانى إلا أنه المبتكر فى وضع (مكتبة الأطفال) ، بلسان الناطقين بالضاد ، فكفاه فخرًا بها ، ما قدمه لرفع ذكره ، وما أحسن به إلى قومه وعصره)[2] .

وفى عام ١٩٣٠ بدأ يظهر مصطلح أدبيات الطفل فى الدوريات العربية ، فى عناوين المقالات وفى ثناياها ظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل وجود جنس أدبى للطفل ، وقبل هذا التاريخ * كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصارًا – يكاد يكون تامًا على الأغراض التعليمية مادة للقراء المدرسية تهتم بالمحصول اللغوى وتدعو إلى القيم والآداب الحميدة .. ومن أشهر ما كتبه حول نهضته التأليفية د . زكى

---

(١) صحيفة الحال ، منال عنوانه « أدب الأطفال » لمحمد مصطفى الماحى ع ٨ / ٨ ١٩٣٤ م .

(٢) كامل الكيلانى فى مرآة التاريخ ، لمجموعة من الكتاب ، مقال عنوانه : استجاب لحاجات عصره ، خليل مطران ، ص ٣٩٣ .

(*) انظر : أدب الأطفال بين الهراوى وكامل كيلانى ، مقالة الدكتور زكى مبارك ، صحيفة البلاغ ، عدد ٨ / ٩ / ١٩٣١ ، وأدبيات الطفل ، مقالة لساطع الحصرى ، مجله التربيه ، عدد يناير ، بغداد ، ١٩٣٠ ، كامل كيلانى والتأليف للطفل ، مقالة للدكتور أسعد حكيم ، مجلة المجمع العلمى العربى ، ٤ أكتوبر ١٩٢٣ م دمشق ، وتتابعت المقالات حول الطفل وأدبه فى الدوريات العربية بعامة والمصرية بخاصة ، لمزيد من التفاصيل حول إستخدام مفهوم أدب الطفل بمعناه ودلالته أنظر كتابنا : أدب الطفولة : أصوله مفاهيمه .. و : الهلال : أول مايو ١٩٣٣ ، البلاغ : ١٣ ، ٢٥ / ٨ / ١٩٣٣ ، الحال : ٨ ، ٦ / ٩ / ١٩٣٤ م ، الأهرام ١٦ / ٩ / ١٩٣٤ م وغيرها .

مبارك : (... أشهر المؤلفين فى هذا الباب رجلان : محمد الهراوى ، وكامل كيلانى وهما بعيدان عن التدريس)(*) .

مشيرا فى مقالته إلى رائدين فى أدب الطفل ، حيث « بدأ الاهتمام بالتأليف للأطفال يبرز فى نواح بعيدة عن بيئة التدريس ، وبدأ يستحوذ على اهتمام التربويين الشروط الواجب توافرها فى الكتب الموجهة للصغار سواء من حيث الشكل أم من حيث المضمون ، محاولة منهم فى أن يدفعوا كتاب الطفل إلى تقديم الأفضل[1] .

وفى خاتمة هذا المبحث نؤكد على أن أدب الطفولة Childhood literature نوع أدبى مستحدث لا يختلف عن أدب الكبار إلا فى كونه أدب مرحلة عُمرية متدرجة من عمر الكائن البشرى يراعى المبدع خصائصها وأطوارها ولا نميل إلى استمال مصطلح أدب الأطفال مرادفًا للطفولة (إذ الطفولة أتم وأدق وأشمل) ، ومن الانصاف أيضا الإشارة إلى تنوع ظاهرة ميلاد ذلك الجنس الأدبى حول عدة محاور هى : الترجمة والاقتباس ، ثم الدعوة النظرية فالتجريب الفنى ، ثم التأصيل والتنوع فى التأليف فوق أعمدة الدوريات الإعلامية والمدرسية ودواوين الشعراء وكتابات الكُتَّاب ، (الحديث) منها و(المعاصر) .

فلسفة أدبيات الطفل فى الحضارة العربية والإسلامية :

هناك اتجاهان جديران بالوقوف عندهما سبر بهما العقل العربى فلسفة أدبيات الطفل :

أولاهما : الاتجاه (الدينى) : واهتدى رجاله بأقوال الرسول ﷺ وأصحابه ، والخلفاء والأمراء وعلماء الحديث واللغة والأدب . وتتلخص رؤية أصحاب هذا الاتجاه بالبدء بمنهج دينى (تحفيظ القران وبخاصة السور القصار منه ، ثم يحصل

(*) انظر كامل كيلانى فى مرآة التاريخ ، لمجموعة من المؤلفين ، ط المكتبة الكيلانية ، القاهرة ، القاهرة ١٩٦٢ م .

(١) انظر كامل كيلانى فى مرآة التاريخ ، لمجموعة من المؤلفين ، ط المكتبة الكيلانية ، القاهرة ١٩٦٢ م .

الطفل على المنهج الأدبي واللغوى (اللغة والأشعار) ، مما يؤكد أهمية بدء تعليم الطفل وتأديبه بحفظ القرآن ومبادىء علومه ، نظرًا لما ما فى القرآن الكريم من أثر حاسم فى تقويم اللسان وتنمية ملكة البيان واستنارة الوجدان وحفز خيال النشىء لاكتساب المحصول اللغوى وكذلك مبادىء الحساب .

يقول ابن سينا فى ذلك ... فإن أشتدت مفاصل الصبى وأستوى لسانه وتهيأ للمتقين ووعى سمعه : أخذ يتعلم القرآن ، وصورت له حروف الهجاء ، ولقن مالم الدين .. كما ينبغى أن يروى للصبى الرجز ثم القصيد ، فإنه روايته أسهل وحفظه أمكن ، لأن بيوته قصر ووزنه أخف .

ومنه قول ابن بسام :

« ... وأول ما ينبغى للمؤدب أن يعلم الصبى السور القصار من القرآن بعد حذفه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل . ويدرجه بعد ذلك لمعرفة عقائد السنن ، ثم أصول الحساب ، وما يستحسن فى المراسلات والأشعار ، دون سخيفها ومسترذلها[1] .

وامتدت أثار هذا الاتجاه الدينى إلى العصور الحاضرة فى الأمصار العربية والإسلامية ، مع اختلاف فى « الكم » أو « المنهج » المعمول به فى كل قطر من الأقطار لذلك ألفينا بداية ذيوع مصطلحات الأدب الإسلامى أو أدب الطفل المسلم مقرونة بنتاج يحقق أهداف ذلكم الاتجاه .

أما الاتجاه الثانى فهو : الاتجاه (الأدبى) : وهو اتجاه متجدد فى الحضارة الاسلامية ولا يتعارض مع الاتجاه الأول فى غاياته جميعا – وإن اختلف فى أساليب تحقيق تلك الغايات . ويأخذ أصحاب هذا الاتجاه بالمنهج التعليمى للطفل (المنهج التربوى المعاصر) وخلاله يبدأ الطفل يتعلم ثم يدرك بعد ذلك فهم ما يقرأ من القرآن . ويبدأ أنصار الاتجاه الأدبى الدينى منهجهم بتعليم الطفل مبادىء اللغة وقواعدها والتدريب على الترسل ، وتلقين الطفل الشعر وروايته وإنشاؤه ، ثم

---

(١) نهاية الرتبه لابن بسام ، تحقيق وتعليم حسام الدين السامرائى ص ١١٧ ، نشر مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٨ م .

ينتقل الطفل إلى القرآن وعلومه فإنه يتيسر عليه بعد جرعة التعليم اللغوية والأدبية أن يفهم أو يحفظ آيات أو بعض السور القصار من القرآن الكريم ، ومن ثم يستطيع أن يدرك عقائد السنن والأخبار (القصص) ، وقد شاع الأخذ بمنهج أصحاب هذا الاتجاه عند أهل الأندلس والمغاربة ، وأمتد أثر هذا الاتجاه (الأدبي الديني) إلى العصور الحاضرة ، ولكن بدرجة أقل من تأثير الاتجاه (الديني الأدبي) نظرا لتقلص دور الطبقة الهامة من المؤدبين والمعلمين والمحفظين للقرآن من ناحية ، واختلافه عن المنهج واقعية نعج المنهج تربوى متكامل قائم لدى سائر الأمصار العربية والاسلامية من ناحية أخرى ."[1] .

مفهوم أدب الطفولة :

فى ضوء ما عرضناه آنفًا يمكننا تحديد أقرب مفهوم لأدب الطفولة فنقول : أدب الطفولة نوع أدبي متجدد فى أدب أى لغة ، وفى أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره ونثره وارثه التشفاهى والكتابي) ، فهو نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمرحلة الطفولة ، بحيث يراعى المبدع المستويات اللغوية والادراكية للطفل ، تأليفًا طازجا أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدمة له ، ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة ، بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنيةوالجمالية .

أما « الوسائل » أو « الوسائط » التى نستعين بها لتحقيق فلسفة أدب الطفل وأهدافه فتخرج عن دائرة تعريفنا الذى ذكرناه ..

* * *

* قدم كتابنا « أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال » رؤية تأصيلية لنشأة أدب الطفل ونقده فى العصر الحديث ، باتبار أن حجر الأساس أو عطر

---

(١) انظر كتابنا : أدب الطفولة (أصوله مفاهيمه) ط ١ ، الدار العربية للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ط ٢ ، القاهرة .

(*) انظر : الاعلام الزركلى ، وديوان آداب العرب لإبراهيم بك العرب ، طبع ورارة المعارف العموميه ١٩١١ .

البدايات ، تشكل بادىء ذى بدء فى ضوء تنظير (أولهما) وتعريب وتمصير (الثانى) لحكايات لافونتين والتراث الانسانى ، وتجربة ابراهيم بك العرب تفيد من تجارب من شبقوه قدامى ومحدثين إذ جمعت بين الأدب والاتجاه الوظيفى التربوى .

إبراهيم بك العرب :

فى عام ١٩١١ طبعت نظارة المعارف العمومية على نفقتها الطبعة الأولى من كتاب (آداب العرب) للشاعر إبراهيم العرب (- ١٩٢٧) وقررت تدريسه فى المدارس الابتدائية (بنين وبنات) وفى مدارس المعلمات السنية ، ومدارس معلمى الكتاتيب ، وبرغم هذا يقول د . على الحديدى : (... قبل أن يكتب شوقى حكاياته ترجم محمد عثمان جلال كثيرا من حكايات لافونتين فى كتابه « العيون اليواقظ فى الحكم والأمثال والمواعظ » فى شعر عربى مزدوج القافية وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها الأصل ، وحاول تمصير الحكايات العامية فى صورة زجل ، وبعد ذلك ألَّف إبراهيم العربى* (العرب) نظما كتاب خرافات على لسان الحيوان أسماه « آداب العرب » وسار فيه على طريقة لافونتين لكن هذين الأديبين لم يكتبا حكايتهما للأطفال بل كتباها للكبار ، ومن ثم تخرج عن مجال أدب الأطفال الذى يكتب ابتداء لهم ..)[1] .

وفى الواقع أن الشاعر إبراهيم العرب كتب منظوماته الخرافية للأطفال - إبتداء - وليس للكبار كما يذكر د . على الحديدى فى مقولته الآنفة ، فمنظومات « إبراهيم العرب » من شعر الطفولة بنيتها ومضمونها فى هذا الكتاب تلائم مدارك الأطفال من جانب ، وتتوجه إليهم كأدب تعليمى وعظى من جانب آخر ، كما يذكر مؤلفها إبراهيم العرب فى خطبة مقدمة كتابه وخطبة الختام . فأول ما يطالعنا من عنوان كتاب أداب العرب بعد ذكر اسم مؤلفه : (قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدريسه فى المدارس الابتدائية بنين وبنات

(*) هكذا فى الأصل .

(١) فى أدب الأطفال ، د . على الحديدى ، ص ٢٤٥ .

وفى مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمى الكتاتيب »[1] وإذا كان تدريسه فى المدارس الأولية المصرية - يومئذ - غير كاف لأثبات تأليفه للصغار فيما يرى د . على الحديدى ، فإننا نثبت هنا فقرة من خطبة المقدمة لمؤلف الكتاب .. يقول فيها :

(... أما بعد فهذا كتاب خدمت به نابته الوطن المحبوب وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منها ما يربى نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصواب آراء المتقدمين . وقد ألتزمت أن أجعل مواعظ كتابى أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم بقرؤنها بلا ملل ..)[2] ، ومن المؤكد أن (نابتة) الوطن المحبوب هم الأطفال وليس الكبار ، أما عن مضمون الأدب الوعظى الحكيم فى المنظومات الشعرية لإبراهيم العرب فقد عبرت عنها خطبة ختام الكتاب ، يقول فيها إبراهيم العرب :

على لسان وحوش القفر أسرادها ... والصدق فى الوحش دون الأنس معهود
أمثال صدق تجلت لامثيل لها ... معنى صحيح ولفظ فيه تجويد
ضمنتها النصح والأغراض شاهدة ... وفى لسان الفتى للحق تأييد[3]

مختارات من ديوان آداب العرب :

إذا كان محمد عثمان جلال قد استرقد حكايات « لافونتين » الخرافية عندما نظم كتابه الموسوم « العيون اليواقظ » فى منتصف القرن التاسع عشر فإن إبراهيم العرب اقتفى أثره فى هذا المجال ، إذ تأثر بالكتاب العرب ، وكتاب الغرب عندما قام بتأليف كتابه « آداب العرب » فى عام ١٩١١ م فيذكر : (... على أننى جاريت السابقين من كتاب العرب وأدباء الغرب فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ، ليكون الأخبار بذلك أفكه والمواعظ أبلغ فى

(١) انظر كتاب (آداب العرب) ، وخطبة المقدمة ، وخطبة الختام لهذا الكتاب ، نسخة مصورة عن أصل فى حوزة المؤلف .
(٢) كتاب آداب العرب ، إبراهيم بك العرب ، المقدمة ، المطبعة الأميرية بمصر ، ١٩١١ م .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ .

ضرب الأمثال والحكم)[1] . والملاحظ من استقراء المقولة السابقة تصريح المؤلف بالأعتماد على كُتَّاب من « الغرب » و « الشرق » فى تأليفه القصة الشعرية للأطفال ، على عكس أحمد شوقى الذى لم يومىء إلى تأثره بالنتاج المشرقى فى هذا المجال ، فلم يشر إلى تأثره بألف ليلة ولية أو كليلة ودمنة وغيرهما ، وإنما بالحكايات الخرافية المأثورة عن لافونتين فحسب . ولعل إبراهيم العرب بأشارته تلك يتفق وما قاله محمد عثمان جلال صاحب « العيون اليواقظ » أنه قرأ الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان ، على نسق كتب الصادح والباغم وفاكهة الخلفاء ، أى أنه استفاد من التراث الشرقى أيضًا .

ولم يتضمن ديوان « آداب العرب » القصة الشعرية على لسان الحيوان فحسب وإنما أشتمل الديوان على « منظومات شعرية محملة بالقيم الحميدة التى تحث على السلوك والآداب العامة ، والأدب فى إطاره التهذيبى وهذه المنظومات – لم يدخل الحيوان أو الطير – طرفًا فى موضوعها وبالتالى فإن مقولة د . على الحديدى بأن إبراهيم العرب (... نظم كتاب خرافات على لسان الحيوان سماه « آداب العرب » وسار فيه على طريقة لافونتين)[2] مقولة لا يمكن قبولها على إطلاقها ، فكم من قصة شعرية أوردها كتابه (آداب العرب) تنأى عن عالم الحيوان والطير ، مثل منظوماته : « الأعمى والمقعد » و « عدل خلفاء الإسلام » و « المعجب بآرائه » و « لاعب الميسر » و « الباحث المقلد » و « نكران الجميل » و « الشيخ وولده والعبيد » و « الفلاح والنهر » و « العمدة والمضارب » و « الوالد وولده » و « الجاهل المثرى » و « محب المال » و « المغتر بالناس » و « الملك والمُلك » و « محب الوحدة » و « جامع المال » و « الحياة والحرية » و « شكاة الدهر » . و « البهلوان وعصاه » . فى ضوء ذلك يمكن القول بأنه من بين تسع وتسعين قصة شعرية تضمنها الكتاب الفينا ستًا وسبعين قصة على ألسنة الحيوان والطير والنبات ، بينما نظم إبراهيم العرب ثلاثًا وعشرين قصة شعرية والتى أثبتناها – أنفًا – وهى تنأى عن الحيوان والطير والنبات ، بل وقفت عند

(١) المرجع السابق ، المقدمه .

(٢) فى أدب الأطفال ، د . على الحديدى . ص ٢٤٥ .

بث القيم الأخلاقية على لسان البشر مثل قوله فى نجدة المحتاج قدر الأستطاعة فى منظومة « الأعمى والمقعد » :

أعمى تـوطن فى بعض المدن ... وجاره مقعد فى ذلك الوطن

كلاهما يتمنى المـوت معتقدًا ... بـإنـه منـة من أعظم المنن

وبينما ذلك الأعمى يسير إلى ... وجه الكريم بلاهاد ولا سكن

إذا به عثرت رجلا عن خطأ ... بـذلك المقعد المحفوف بالمحن

قال الضرير وقد ناداه صاحبه ... ما كان هذا الشقا لو كنت تصحبنى

فقال كيف وعنك الضؤ محتجب ... والداء أعيا مكان السعى من بدنى

قال الضرير الا لو كنت سندا ... لما أصبنا بما تشكو من الأحن

تعال أحملك فوق المنكبين إلى ... مطالب الرزق أبغيها وترشدنى

تسعى بمسعاى أنى تبتغى ورأى ... ينـاظريك فهيا يا أخى أعن

عاون صديقك فى أمر يحاوله ... فالحر للحر معوان على الزمن[1]

ومما دعا إليه ديوانه ، تقبل الأبناء لوصايا الآباء والعمل بها فى منظومة « الوالد وولده » قال إبراهيم العرب وهو يبث الحكمة المأثورة :

عجـوز بـه ولـد لم يكن ... شبيهًا لـه يسوى شخصه

بليـد الؤاد وضعيف الحجا ... تـدل الفعال على نقصه

فـأوفـده فى شـؤون لـه ... وعـرفـه الحكم من نصه

فلم يقض أمرًا وضاعت به ... وصايا أبيه على حرصه

إذا كنت فى حاجة مرسلاً ... فـأرسل حكيمًا ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى ... فـشـاور عليما ولا تعصه[2]

ويحارب عادة مذمومة ، وهى المبالغة فى إقامة الصداقات الفارغة والعابرة بين الناس ، ويسخر ممن يغتر بالناس فى منظومته « المغتر بالناس » فيذكر :

فتى شاقه أنس الأنان من الصبا ... فـظن بهم خيرًا وذاك غرور

يبـالـغ فى إكـرامهم متلطفـا ... إذا صادفوه فى الطريق يسير

---

(١) كتاب آداب العرب ، ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

يقابل بالترحاب أيًا به التقى   سواءً خفير عنده وأمير
إلى أن دهته عسرة بعد يسرة   فلم يك معوان له ونصير
فأصبح مما ناله وفؤاده   عليم بأحوال الرجال خبير
يقول ألا أن الوداد تجارة   إذا لم يؤيدها السخاء تبور
لئن كان من قال السلام عليكم   بعد صديقا فالصديق ، كثير[1]

وتدعو منظومته « العمدة المضارب » إلى التحلى بالأمانة والوفاء بالدين فيذكر :

من الريف فى إحدى المدائن عمدة   تظاهر بين الناس بالكسب والغنم
فصار يبيع الطين آنا ويشترى   سواءً بلا رأى سديد ولا علم
يسدد من هذا لهذا ديونه   بغير ترو فى الحساب ولا علم
إلى أن مضى عام وأقبل غيره   وزاد عليه الدين من قلة الحزم
فما قام بالدين الذى حل قسطه   وباع الطين فى الحال بالرغم
فما نال ما كانت عليه جدوده   وما زاد إلا النقص فى الجاه والاسم
وأيقن أن الدهر يهدم صرفه   بناء لمن يغتر فى الدهر بالوهم
وأن وفاء الدين بالدين لم يكن   وفاء ولكن كان غرما على غرم[2]

ويطرح سمة حميدة يجب التمسك بها وهى الصدق من خلال قصته الشعرية بعنوان « الشيخ وولده والعبيد » :

شيخ عظيم فى البرايا سعيد   له من الدنيا غلام وحيد
حل ابنه يوما ببستانه   والنور فيه مثل عقد نضيد
فعاث فيه لا يبالى الأذى   وغادر الزرع هشيما حصيد
ثم أتى ولده بعده   وشاهد الروضة كادت تبيد
وقال من اتلف غرسى وهل   سطا على الغرس عدو شديد
فلم يجيبوه وقد اطرقوا   خوفا من البخل العزيز الفريد
فأقبل الطفل مقرا بما   جنى وقال افعل ابى ما تريد

(١) نفسه ، ص ٩٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

أنا الذى فى الروض عاشت يدى وخالق الكون عليم شهيد
ففرح الوالد من صدقه وخصه من عطفه بالمزيد
وقال يا نجلى بلغت الهدى فسر على النهج القويم السديد
عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بالنار الوعيد[1]

والأمثلة الآنفة ، قصدنا من إيرادها هنا التنبيه على توجه كتاب آداب العرب للناشئين فى أساسه ، وليس للكبار كما قال بعض البحاث ، هذا من جانب ، ثم إيضاح تنوع منظومات الكتاب بين القيم الموروثة وأسترفاد الحكاية على ألسنة الحيوان والطير من جانب آخر ، وها نحن نثبت من أمثلة « إبراهيم العرب » وعظاته الشعرية فى مثل هذه المقطوعات :

يقول إبراهيم العرب فى منظومته (الفتاة والنحلة) :

فتاة حسن ذات دل يبهر كانت على كل الحسان تفخر
وقد تلاهب الفتاة عنها حطت على مبسمها النضير
ولسعتها لسعة السعير فقالت النحلة يا أصحاب
ليس لمثلى ينبغى العقاب رأيت فى مبسمها احمرارًا
ظننته فى ثغرها ازهارا فانظر إلى حلاوة اللسان
والسحر فى المنطق والبيان فرب لفظة أفادت نعمة
ورب لفظة أتت بنقمة[2]

فى سهولة لفظ طرح إبراهيم العرب فى منظومته عاقبة الغرور والخيلاء وهو معنى لطيف وقيمة نبيلة يغرسها فى نفوس الناشئة .

وله منظومة أخرى بعنوان (الجمل والحمار) يقول فيها :

الوعظ فى سيارة الأشعار اهدى بمسراه من الأقمار
فانظم حكايات الوقائع دائمًا مروية بحقائق الاخبار
جمل أقام مع الحمار ممتعا فى روضة غناء ذات ثمار

---

(١) نفسه ، ص ٧٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ - ١١ .

ابد له الجمل الصبور نصية   أن لا يكون سبب الاكدار
غالى بتكرار النهيق مرددا   بصداء بينم ربا وبين قفار
فأتى كلمح البرق ركب طالب   ضيدا على الصهوات والاكوار
القى الحبال عليها فاستسلما   وتوليا معه بغير خيار
جانب خليط السوء تأمن شره   وانبذ لتسلم صحبة الاغرار[1]

وينبت فكرة الاعتدال من خلال منظومته (السمكة الطيارة) فيذكر :

من السمك الطيار واحدة شكت   إلى الأم ما تخشاه وهى تعوم
إذا ما سمت فى الجو فالنسر حائم   وإن هى غاصت فالوحوش تحوم
فكيف توقى نفسها شر ميتة   وفى وجهها فى الحالتين خصوم
فقالت لها الأم الرحيمة يا أبنتى   إذا شئت أن لا تعتريك هموم
فلا تعتلى فى الجو فالجو عائل   ولا تسفلى فى البحر فهو هضوم
عليك أواسط الأمور فإنها   طريق إلى نهج الصواب قويم[2]

ويعظ الضعيف بإختيار من يحميه ويدفع عنه الأذى فى منظومته القصيرة (الحمل والذئب والليث) فيذكر :

حمل أبصر ذئبًا فى الفلا   ورأى الشر بدا من مقله
فاعترته رجفة من خحوفه   وتمشى حائرًا فى خبله
فاحتمى بالليث كى يحفظه   وارى فى أقصى أمله
فأتاه الحتف من مامله   وانقضى ما يرتجى من أجله
رب من ترجو به دفع الأذى   عنك يأتيك الأذى من قبله[3]

وفى تلك العظة على لسان (الثور والحصان والحمار) يكشف ميل الأهواء فيذكر :

تفاخر الحمار والحصان   والثور حين ضمها مكان
وصار كل يزدهى بفخره   على سواه وعلو قدره

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ص ٤٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ص ٤٣ .
(٣) السابق ، ص ١٥ .

فبينما الجميع فى جدال ... وقبلهم مختلط بالقال
أقبل قوم من بنى الإنسان ... على صدى الصوت بلا توانى
فاهتم منهم واحد وقام ... وكان بالخيول مستهاما
وقال ان اشرف الأنواع ... كرائم الخيول بالاجماع
لها مزاياها فى الحروب لا تعد ... والخيل فيها الخير معقود ورد
وآخر قد مدح الحمارا ... مبالغا فى مدحه جهارا
وقام واحد من الجماعة ... وأمتدح الثيران للزراعة
فانصرفوا وما أتوا بحكم ... بواحد يدحض قول الخصم
بل كل فرد عن هواه ينطق ... والمرء مغرى بهوى ما يعشق
وذلك صدق قولهم فى الماضى ... الحكم ما ترضاه نفس القاضى[1]

ألقينا فيما سبق ما يحقق وظيفة الأدب الوعظى الحكيم ، والاقتراب من أفهام تلاميذ مرحلة الطفولة المتأخرة (١٢ - ١٥ سنة) على عكس ما قال به نفر من الباحثين أن اللغة الشعرية فى كتاب آداب العرب صعبة على أفهام التلاميذ ، نعم لم تخل قصة شعرية واحدة من منظومات الكتاب من لفظة أو لفظتين على أكثر تقدير ، صعبة أو جديدة ، على المعجم اللغوى عند الأطفال ولكن مهمة الأدب فى أحد وظائفه اللغوية تنمية اللغة عند الطفل وإكسابه لمفردات جديدة فى سياق النص . إن المؤلف يكاد يقترب من لغة الحياة فى منظوماته ، فيضرب المثل تارة ، ويقدم الحكمة تارة أخرى ، كما يرددهما الناس فى الواقع والمعيش وهذه أمثلته* على ذلك :

وتفتح الأبواب للمدارس ... فى وجه موسر وبائس
ما وهب الرحمن للبريدة ... أفضل من موهبة الحرية
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
لو نظر الناس على عيبهم ... ما عاب انسان على الناس

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ - ٥٢ .

(*) انظر على سبيل المثال : منظوماته : الحرية ، الطائرة ، الدرويش والعبرة والصقر ، المرجع السابق .

إن الأمثال الحكيمة والعظات الأخلاقية التى بثها إبراهيم العرب فى كتابه فى نظم شعرى تتفق ووظيفة أدب الطفل فى النواحى التربوية (اللغوية) والأخلاقية والشاعر نفسه عبر عن التيسير اللغوى الذى أشرنا إليه فى خاتمة الكتاب فيقول :

وهـذه جمـل مملوءة حكـمًا   من دون نشر شذاها الند والعود
خرجت فيها عن التعقيد معتقدًا   أن السهولة فيها الخير معقود
يسابق الذهن معناها مبادرة   كأنه قبل وقع اللفظ موجود[1]

وإذا كانت المنظومات الشعرية التى تضمنها (آداب العرب) قد حملت فى ثناياها بث القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والوطنية ، فإن هذا الكتاب قد خلا من المنظومات المعبرة عن الترويح والتسلية وأيضًا خلا من الألغاز الشعرية ، كما وقع الشاعر إبراهيم العرب فى مشكلة التعقيد اللغوى الملازم لغرض شعرى ينأى عن عالم الطفولة ، فى مثل منظومته « شكاة الدهر » يقول فيها :

مـا لبناتنـا ومـا لبنينـا   فى آمان من الزمان الخؤون
خـلفتـهـم آبـاؤهـم لحـيـاة   كلهـا شقـوة كـما خلفـونى
ليتنى لم أكن خلقت ولا كنت   عرفت السورى ولا عرفونى
رب أنت العليم مـالى ذنب   بشقـاء الحياة قـد ظلمـونى[2]

لقد أخفق الشاعر هنا وهو يطرح على تلاميذ المدارس شكوى الزمان الخؤون والشقاء ، واليأس من الحياة والأحياء ، إن الطفولة هى الأمل كما هى فرحة الحياة ، ربما كانت هذه المنظومة هى الوحيدة بين قصصه الشعرية التى تنأى عن عالم البراءة كما يعرفها ويقدرها الأطفال أنفسهم .

بإمكاننا القول فى ضوء ما عرضناه - آنفًا - من بعض منظومات ديوان (آداب العرب) أن الشاعر إبراهيم العرب تأثر فى نظمه برافدين رئيسيين :

أولاهما : التراث العربى والإسلامى ، عندما أسترفد المأثورات الشعرية من الأمثال والأقوال الحكيمة فى الأدب العربى القديم ، وبخاصة أمثال لقمان الحكيم ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١١ .
(٢) السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

وقد ضمن هذه التأثيرات المشرقية فى قصصه للتلاميذ من مثل القصة الشعرية (الشيخ وولده والعبيد) و (الوالد وولده) و (المغتر بالناس) و (محب المال) و (الملك والملك) و (جامع المال) و (الحياة) وغيرهما .

والثانية : الحكايات الخرافية فى الآداب الإنسانية الأخرى ، وبخاصة عن الأدب الغربى الحديث ، فالحكايات الخرافية التى تضمنها كتاب آداب العرب بلغت ستًا وسبعين قصة شعرية على ألسنة الحيوان والطير والنبات ، وهى محاكاة لخرافات لافونتين التى نقلها إلى العربية محمد عثمان جلال ، والمرجح أن إبراهيم العرب أفاد من ترجمة محمد عثمان جلال ، لكنها إفادة تتصل بموضوع الحكايات الخرافية - لابنتيها - لأن البناء اللغوى فى « العيون اليواقظ » أبسط لغة وأيسر أداءً فى المعجم اللغوى فالألفاظ تنأى عن الصعوبة أو التعقيد فى مجملها ، بل وصلت بعض المنظومات إلى درك من الإسفاف اللغوى .

أما حكايات إبراهيم العرب الشعرية فتميل إلى تثبيت الفصحى الميسرة المطعمة ببعض الألفاظ الصعبة فى أذهان الصغار ، ومع ذلك فلغة إبراهيم العرب لا تلائم مدارك وأفهام رياض الأطفال (مرحلة الطفولة المبكرة) ربما لا يدركها أطفال مرحلة الطفولة الوسطى كذلك ، أما أطفال (مرحلة الطفولة المتأخرة فباستطاعتهم فهمها وبالتالى يقدرونها .

ومع ذلك فإن إبراهيم العرب قد أفاد من الطبعة المدرسية الأولى التى ظهرت عام ١٨٩٤ م من « العيون اليواقظ » لمحمد عثمان جلال ، وقد أنتخب منها بعض أفكار موضوعات حكاياته على ألسنة الحيوان ، وفى نفس الوقت توسع إبراهيم العرب فى تلقين القيم الأخلاقية والسلوكية بحيث تناولت ما يقرب من ربع حكاياته جميعًا لقد قصد إبراهيم العرب عند تأليف حكايات (كتاب آداب العرب) إلى الأدب التهذيبى أو الأدب الوعظى الحكيم ، لا من استقراء مقدمة الكتاب أو خطبة المؤلف فى الختام فحسب ، وإنما من خلال العنوان الذى طرحه لحكاياته الشعرية جميعًا ، فكلمة العظة تسبق عنوان منظومته الشعرية الأولى ، فالعظة الثانية وهكذا إلى العظة التاسعة والتسعين ، فالعظات أو النصائح مدلولات لمضامين سائر حكايات الكتاب ، كما عرضنا .

إن تجويد الألفاظ وفصاحتها فى حكايات إبراهيم العرب هى أهم ما تلتقطه فى النسيج اللغوى لحكاياته ، وهذا مطلب ضرورى فى الإنشاء الأدبى ، ولكن الضرورة الشعرية فى نظم الحكايات أضطرته أحيانًا لاستخدام مفردات لغوية تنأى عن أفهام الصغار مثل : القفر ، المحفوف ، المنكبين ، يضن ، مؤملا ، الحجا ، الأنام ، البرايا ، هشيم ، الصهوات ، الأكوار ، غائل ، أعنتها ، التنسك وغيرها . لقد نجح إبراهيم العرب فى تضمين المثل السائر أو القول الحكيم فى خاتمة حكاياته ، غير أنه أخفق غير مرة فى طرح هذا المثل أو ذاك القول الحكيم ، من مثل قوله فى خاتمة قصته « الكلب والهر » :

لا خير فى الناس على الإطلاق فودهم ضرب من النفاق[1] .

وأخفق أيضًا فى إيضاح مقصده ، وتوصيل معناه فى (قصة الطائر) عندما اختتمها بقوله :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار[2]

لقد أثبت فى القصتين : (تعميم) التهمة فى الأولى ، وترديد المأثور الشعبى فى نظم به تحوير مما أفقده أصالته فى التعبير الشعبى فى الثانية وكليهما فاسد .

لقد صب الشاعر منظومات ديوان آداب العرب و « أقاصيصه » فى بحور قصيرة خفيفة وجاءت صياغتها فى ألفاظ فصيحة مستعملة ، كما أن القيم التى تناولتها العظات هى التى تنشدها فى نابتة الأمة . ها نحن نختار عظة من عظات كتاب آداب العرب وهى (الجاهل المثرى) وموازنتها مع أبيات عنوانها نصائح لأبى تمام يتدارسها تلاميذنا (فى العصر الحاضر) ؛ ربما تكون كفيلة بدفع التهمة عن صعوبة ديوان آداب العرب على التلاميذ :

يقول أبو تمام :

إذا جاريت فى خلق دنيا فأنت ومن تجاريه سواء
رأيت الحر يجتنب المخازى ويحميه عن الغدر الوفاء

(١) كتاب آداب العرب ، إبراهيم بك العرب ، عظه : الكلب والهر ، ص ٢٦ .
(٢) كتاب آداب العرب ، إبراهيم بك العرب ، عظة : الطائر ص ٣١ - ٣٢ .

وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء
لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتنى التجارب والعناء[1]

ويقول إبراهيم العرب :

هذا هو المغرور تبصره خلف الغرور مؤملا يجرى
يهوى من الدنيا الظهور بها فيزيد من التبذير للفخر
والجود ليس بنافع أبدًا فى غير محمدة ولا أجر[2]

فالنص الأول لأبى تمام يحث على ضرورة أجتناب المخازى والبعد عن الدنايا ويبعث فى النفس الأمل فى الخير بعد الشدة بينما وقف النص الثانى لإبراهيم العرب عند نبذ عادة الإسراف ، ويدعو إلى الإنفاق فى أوجه الخير فى اعتدال . وإذا ألفينا فى النص الأول صعوبة لغوية مثل (دينا) و (المخازى) ففى النص الثانى سنجد (ومؤملا) و (محمدة) ربما وجدناها جميعًا من الألفاظ الصعبة على التلاميذ باعتبارها جديدة على قاموسهم القرائى واللغوى ، وبرغم ذلك فيمكننا الزعم بأن عظات كتاب آداب العرب تصلح كمادة أدبية لأطفالنا ، على نحو ما قدمناه .

* * *

(١) انظر : ديوان أبو تمام ، شروح الحماسة ، النصوص الأدبية ، للصف الثامن من التعليم الأساسى لمجموعة من المؤلفين ، ص ١٠٨ ط ١٩٨٦ .

(٢) كتاب آداب العرب إبراهيم بك العرب ، ص ٨٨ ، ط ١٩١١ .

الباب الثانى

الشاعر محمد الهراوى
أمير شعر الطفولة



هو رائد مرحلة التأليف المستقل والتنوع الفنى فى شعر الأطفال عن الفترة الزمنية التى شهدت التخصص الفنى والتوسع فى نظم هذا الجنس الأدبى المستحدث ونستطيع أن نحدد تلك الفترة الزمنية ببداية العقد الثالث من القرن الحالى إلى وقتنا الحاضر أى بعد ظهور « ديوان الأطفال » و « الحكايات » عند أحمد شوقى بنحو ربع قرن عندما توفر على نظم شعر متنوع وسهل للأطفال الشاعر محمد الهراوى* (١٨٨٥ - ١٩٣٩ م) فأصدر ديوانه المرسوم « سمير الأطفال » عام ١٩٢٢ م .

وإذا كان عثمان جلال فيما رأينا هو رائد مرحلة الترجمة والتعريب لشعر الأطفال فى منتصف القرن التاسع عشر ، فإن هذا القرن - شهد أيضا - وهو يضىء آخر ذبالاته انبثاق مرحلة جديدة أسميناها مرحلة التأصيل الفنى رادها الشاعر أحمد شوقى ، وفى بداية العقد الثالث من القرن العشرين يقود الشاعر محمد الهراوى مرحلة التأليف المستقل والتنوع الفنى فى شعر الطفولة تتمة لمحاولات جادة بذلها إبراهيم بك العرب وكامل كيلانى وغيرهما .

يقول الزركلى فى الأعلام : (محمد الهراوى شاعر مصرى انفرد بنوع من النظم السهل ، ابتكره للأطفال يحفظونه ويتناشدونه فى مدارسهم وبيوتهم .. وله

(*) ولد الشاعر محمد حسين محمد الهراوى بقرية هرية ررنة على مقربه من الزقازيق عاصمة مديرية الشرقية بمصر عام ١٨٨٥ م ، توفى بالقاهرة ودفن بها عام ١٩٣٩ م ، عمل جده معيدًا للدكتور كلوت بك بعد عودته من أول بعثة مصرية لأوروبا تنقل بين هرية والاسكندرية ثم القاهرة حيث أتم تعليمه العام بها ، واتقن إلى جانب علوم العربية الفرنسية والانجليزيه ، وينتسب الشاعر إلى أسرة جمعت بين العلم والأدب فجده كان كبيرًا لعلماء مصر لعهد محمد على ، وأثناء تولى الشيخ محمد شريف سليم - خال الشاعر - نظارة المعارف فعمل بها (م ١٩٠٢ - ١٩١١) ثم نقل إلى دار الكتب التابعة لها - يومئذ - ورقى بدار الكتب إلى مدير الحسابات بها ، تزوج وأعقب من الأبناء فاطمة ويحيى وسارة وإسماعيل وعزة فكتب لهم وعنهم أغانيه وأشعاره كنماذج للطفولة المصرية والعربية . نشرت أشعاره بالصحف والمجلات - لكنها لم تجمع حتى وقتنا الحاضر - غير مرة . كان من أعلام الأدباء فى عصره ولمكانته الأدبية فى مجاله احتفلت الدولة بالعيد المئوى لميلاده . قام بجمع نتاجه الشعرى للأطفال عبد التواب يوسف فى كتاب (ديوان الهراوى للأطفال تحت عنوان (ديوان الهراوى للأطفال) . جمع ودراسة . ط القاهرة ١٩٨٥ م) . أما أحمد سويلم فقد قدم نتاج الهراوى تحت عنوان (محمد الهراوى شاعر الأطفال . تحقيق ودراسة . ط القاهرة ١٩٨٧ م) ومجهود الأخير ينم عن ذوق واستقصاء ، لمزيد من التفاصيل انظر . الاعلام للزركلى مساهير شعراء العصر ، ج ١ ص ٢٩٦ .

« أناشيد » نظمها للحركة الوطنية بمصر ، فى أبنائها)[1] . يقول د . مختار الوكيل عنه : (... أحدث فى الأدب العربى فتحًا جديدًا ، وأخذ نفسه فى جد وإخلاص بمعاناة الكتابة لناشئة الجيل ونابتة المستقبل ، فأبدع منظومات لطيفة سهلة العبارة دانية المأخذ ، فى بحور رقيقة وألفاظ عذبة ، عالج فيها - لأول مرة فى اللغة العربية على ما نذكر - موضوعات تلائم روح الطفولة المرحلة)[2] . ويقول د . زكى مبارك حول اهتمام الهراوى والكيلانى بأدب الطفل : (... أن الاهتمام بالتأليف للأطفال يبرز فى نواح بعيدة عن بيئة التدريس ، فأشهر المؤلفين اليوم فى هذا الباب رجلان : « محمد الهراوى » و « كامل كيلانى » ... ومؤلفات الأستاذ « الهراوى » كلها منظومة وتحت يدى منها : (سمير الأطفال) وهو شعر سهل بالصور للانشاء والاملاء والمطالعة والحفظ ، فى ست كراريس : ثلاث للبنين وثلاث للبنات)[3] .

بعد ديوان « سمير الأطفال » الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٩٢٢ م* أقدم نتاج شعرى للطفولة فى العصر الحديث فى مصر من حيث التخصص الفنى ونعنى به التوجه المباشر بمادته ومضمونه فى ديوان (مستقل) للطفل العربى ، وهى المحاولة الرائدة الأولى فى الأدب العربى الحديث للكتابة الشعرية لجمهورية الطفولة ، وهى محاولة قامت على الابتكار لسد حاجة الطفولة اللغوية والوجدانية بمراحلها العمرية المختلفة ، ولم تقم فى أساسها على الترجمة الأجنبية (كما فى العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال) أو عند مجرد الدعوة النظرية (دعوة أحمد شوقى) الذى كتب العديد من الحكايات والمقطوعات التى لا تصلح فى أغلبها إلا للطفولة المتأخرة والفتيان وتجربة إبراهيم بك العرب كذلك . أما تجربة الشاعر محمد الهراوى فقامت على أساس ابتكارى فى مجال الأغنية والنشيد والحكاية والقصيدة بما يلائم سائر مراحل الطفولة وتسد احتياجاتها فى نتاج يتسم بالتنوع والغزارة والتجويد الفنى ، وقد توفر الشاعر فى المدة بين الأعوام (١٩٢٢ ، - ١٩٣٩ م) . على

---

(١) الاعلام ، خير الدين الزركلى ، مج ٦ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) منبر الشرق (ع ٤١ / ١٠ / ١٩٤٦ م) مقالة للدكتور مختار الوكيل : جحا قال يا أطفال .

(٣) البلاغ (٨ / ٩ / ١٩٣١ م) مقالة للدكتور زكى مبارك : أدب الأطفال بين الهراوى والكيلانى .

(*) انظر : سمير الأطفال ، محمد الهراوى ، ج ١ للبنين ، ط ١ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٢ م .

إصدار العديد من الدواوين الشعرية للأطفال ، والروايات (المسرحيات) الشعرية أو النثرية للأطفال ، وكتابة الأغانى والأناشيد لهم إلى جانب الشعر الدينى لهم كما يوضحه الترتيب الزمنى لإصدارات الشاعر من شعر الأطفال على هذا النحو :

العنـــوان	الجـــزء	الطبعة والتاريخ
(١) سمير الأطفال	للبنين (٣ أجزاء) للبنات (٣ أجزاء)	ط ١ ، ج ١ عـام ١٩٩٢ م .
(٢) ديـوان « الطفـل الجديد »		ط ١ ، عام ١٩٢٣ م .
(٤) روايـة « الـذئب والغنم » تمثيلية غنائية بالشعر ذات فصل واحد سبق نشرها ملحقة بديـوان الطفـل الجديد .		
(٥) أغانى الأطفال (٤ كراسات) (مـزودة بـالعـلامـات الموسيقية)		ط ١ ، عام ١٩٢٨ م
(٦) رواية « حلم الطفل ليلة العيد » ذات فصلين رواية نثريـة للمطالعـة والتمثيل		ط ١ ، عام ١٩٢٩ م

العنـــوان	الجـــزء	الطبعة والتاريخ
(٧) رواية « الحق والباطل » رواية نثرية للمطالعة والتمثيل		ط ١ ، عام ١٩٢٩ م
(٨) ديوان « أنباء الرسل » مصر محفوظات للأطفال بالشعر السهل		ط ١ د . ت مطبعة سعد مصر (بداية عهد الملك فاروق)

* وللشاعر محمد الهراوى عدة أعمال للأطفال لم تطبع ، وكذلك ديوان شعره للكبار مع بعض أغانيه التوقيعية للصغار ، أما المسرحيتان اللتان لم يطبعا فى حياته ؛ فقد أثبت إحداهما كاتب الأطفال عبد التواب يوسف فى كتابه « الهراوى رائد مسرح الطفل » ؛ وهى مسرحية « المواساة » وكتب الهراوى الشعر فى أغراضه الوجدانية والاجتماعية والوطنية ، فنظم الشعر فى طبقته العالية ومنه قوله فى مهرجان دمشق :

ابنى أمية فى شهاء بيانكم   تهمى فبوض الوحى والالهام
موسم الشعراء حين تقيمه   مصر مجال قرائح الافهام[1]

(أ) شعر رياض الأطفال عند محمد الهراوى :

خص الشاعر محمد الهراوى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة (رياض الأطفال) بكتيب شعرى مستقل أسماه « كتاب السمير الصغير » إلى جانب تأليفه لهم بعض الأغانى التوقيعية والمقطوعات التى توزعت دواوين : أغانى الأطفال ، والطفل

(*) صدرت جميع الطبعات عن مطبعة دار الكتب المصرية - عدا - ديوان أنباء الرسل عن مطبعة سعد مصر بالفجالة ، القاهرة . د . ت . وأغنية توقيعية عن مطبعة المعارف .

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : الاعلام للزركلى ، مج ٦ ص ١٠٦ ، مشاهير شعراء العصر ج ١ ص ٢٩٦ ، جريدة الأهرام ، ع ٩ مارس ١٩٣٩ م . محمد الهراوى شاعر الأطفال تحقيق أحمد سويلم (ص ٢٣٧) ط المركز القومى لثقافة الطفل بمصر .

الجديد والجزء الثالث من سمير الأطفال وكراسات الأغانى التوقيعية المزودة بالعلامات الموسيقية .

السمير الصغير .. قراءة تحليلية :

تعتبر مرحلة الأساس فى بناء الإنسان هى مرحلة الطفولة بعامة ، وفترة الطفولة المبكرة منها بخاصة ، ويتميز طفل رياض الأطفال بالاستجابة للإيقاع الحركى والموسيقى والميل إلى المحاكاة واللعب والاستكشاف الذاتى (الخيال المحدود بذات الطفل) ومن ثم بداية دخول الطفل مرحلة الاستقرار اللغوى والتوازن النفسى والاجتماعى ، ويبدأ الطفل فى التعرف على مظاهر الأصوات المحيطة به من إيقاعات والحان وتعبيرات وألوان . وقد فطن الشاعر محمد الهراوى إلى وجود مثل هذه السمات عند الأطفال الصغار (من ٣ إلى ٦ سنوات) فنظم لهم ديوانه المرسوم السمر الصغير الذى يقع فى خمس وثلاثين صحيفة من القطع الصغير فى حجم الكف ، ويحتوى الديوان على ستة عشرة مقطوعة شعرية هى بحسب ترتيب ورودها بالديوان : (نشيد مصر - تحية العلم - نشيد النيل - نشيد الفلاح - تحية المسكن - تحية المدرسة - الكتاب - النشيد المدرسى - الحذاء - الأمانة - الترتيب والنظام - الكلب والحصان - نزهة الكلاب - لعبة الغمامة - الحلقة الدوارة)[1] .

وقد احتفل الشاعر بالصور (الفوتوغرافية) الملونة المصاحبة لكل مقطوعة احتفالا ملحوظا مما يدل على قصدية الشاعر من إثباتها بحيث أدرك - فى توقيت مبكر - مدى شغف الصغار بالألوان المصاحبة للنظم كعامل مشوق يتآزر مع أغانيهم وأناشيدهم وألعابهم ، وقد نجح الشاعر فى انتخاب الصور المصاحبة لكل مقطوعة والتعليق عليها تعليقا ادبيـا يدل على ثقافته ووعيه بسيكولوجية النمو اللغوى والمعرفى وفلسفة الجمال والواقع أن الشاعر جانبه الصواب فى إثبات الصورة الأجنبية المصاحبة للنشيد المدرسى (ص ١٨) ، ويمكننا تقسيم مقطوعات « السمير الصغير » إلى أربعة مجموعات هى :

---

(١) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م .

(أ) الأناشيد .
(ب) مقطوعات تعليمية وأخلاقية .
(جـ) أغانى الألعاب .
(د) حكاية فكاهية واحدة .

فالأناشيد فى السمير الصغير تبلغ خمسة أناشيد وهى نشيد مصر - تحية العَلَم - نشيد النيل - نشيد الفلاح - النشيد المدرسى . أما المقطوعات الأدبية (التعليمية والأخلاقية) فهى الأمانة - الكتاب - الترتيب والنظام - تحية المدرسة - تحية المسكن - الحذاء القطار) . بينما أغانى اللعب فى الديوان لا تزيد عن ثلاث وهى : (لعبة الغمامة - نزهة الكلاب - الحلقة الدوارة) أما الحكاية الفكاهية الواحدة فجاءت مقرونة باللعب أيضا وهى حكاية (الكلب والحصان) .

وأبيات المقطوعات - فى السمير الصغير - قصيرة العدد (حد أدنى ٥ أبيات - حد أقصى ١٠ أبيات) قليلة الكلمات فى كل بيت (حد أدنى ٤ كلمات - حد أقصى ٦ كلمات) . سنختار أحد النماذج الممثلة لكل مجموعة من المجموعات الآنفة ونبدأ بنشيد النيل :

النيل سلسبيل ... ليس له مثيل
نهر كريم طيب ... يروى الثرى فيخصب
واديه روض أخضر ... ينساب فيه الكوثر
يفيض بالإحسان ... فى مصر والسودان
والنيل فى القطرين ... حياة توءمين
فليحيى نيل مصرا ... مدى الزمان حرا[1]

أول ما نلاحظه قصر النشيد سواء فى عدد الأبيات أو عدد المفردات فى كل بيت ، ولكنه مع ذلك يحمل فكرة جديدة لم يتناولها أحمد شوقى فى نشيد النيل وهى التأكيد على فيوضات مياه نهر النيل على مصر والسودان فنشيد النيل عند شوقى (١٠ أبيات) يحمل صورا شعرية أعلى كثافة من نشيد النيل عند الهراوى وهذا

(١) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ص ٩ .

أمر طبيعي لأن الهراوى يخاطب صغار الأطفال ، ومع ذلك فقد وقع الهراوى فى إشكالية التعقيد اللغوى فى نهاية البيت الثانى فى قوله (يروى الثرى فيخصب) فالطفل فى تلك المرحلة يستمع أكثر مما يقرأ ويقدر فهناك صعوبة القراءة والخيال المركب ، ولو قمنا بموازنة بين فكرة واحدة عرضها كل من الشاعرين ففى مطلع النشيد عندهما سنجد أن الهراوى طرح فكرة شوقى القائلة :

النيل العذب هو الكوثر   والجنة شاطئة الأخضر[1]

وقد طرحها الهراوى فى الأبيات الثلاثة الأولى ، فالسلسبيل هو الماء العذب والجنة هو الكوثر والشاطىء هو الوادى الخصيب ، فشوقى طرح الفكرة فى بيت دال واحد بينما طرحها الهراوى فى ثلاثة أبيات على أية حال فنشيد الهراوى كتب ليحفظ ويتردد بين صغار الأطفال فى مدارسهم وبيوتهم يساعدهم على ذلك قصر عدد الأبيات وقلة عدد الكلمات وإيقاعها المميز ، كما أن فكرة الاقتباس واردة إلى يومنا هذا ولك صورة وصفية موازية يطرحها الشاعر محمد السنهوتى فى نشيد النيل[2] .

بديع الحسن ، ما أبهى   وأجمل شطك الأخضر
ويبدو ماؤك الأسمر   شبيه المسك والعنبر
ويشدوا الموج الحانا   ويغدو وهو فرحان
ويدو الزهر ألوانا   وكل الزهر فتان
على شطيك يانيل   عذارى الدوح تختال
وللأطيار ترتيل   كماء النبع سلسال

ومن المقطوعات ذات الهدف التعليمى فى السمير الصغير مقطوعة « الكتاب » يقول الشاعر فى لغة سهلة قريبة المأخذ :

أنا فتى ذو أدب   أقرأ خير الكتب
إن غابت الأصحاب   فصاحبى الكتاب

---

(١) الشوقيات مج ٢ ، ج ٤ .

(٢) ديوان السنهوتى للأطفال ، نشيد النيل ، جمع ودراسة د / أحمد زلط ، دار الشرق ١٩٩١ م وصورت الطبعة الثانية من الديوان بعنوان (ظمأ السحاب) وتبويب وتقديم ، بعد حذف دراسه المقدمة مع تنقيح وإضافة .

فيه حديث السمر مزينا بالصور
أسأله يجيبنى عن كل ما يريبنى
يحلو به البيان وماله لسان
كم قص لى حكاية لطيفة للغاية
يروى لى الأشعارا والأدب المختارا
فالعلم فى السطور يسرى إلى الصدور[1]

أن صدى الإيقاع الموسيقى واللغوى ينبعث من أبيات المقطوعة فى سهولة يقدرها الأطفال ومن ثم يرددونها ويحفظونها بمثل إدراكهم لها ، فالصحبة مع الكتاب تتحقق فى أسلوب تقريرى مباشر ، والفائدة والتشويق يتحققان بما يعرضه الشاعر من أفكار واضحة ومعارف جديدة ، فالصور الشعرية تختفى بالمقطوعة أو تكاد ، ويتناول الشاعر محمد السنهوتى أيضًا موضوع الكتاب فى لغة أعلى من لغة الهراوى ، فيلجأ إلى استعمال الصورة الشعرية فى أكثر من موضع يقول الشاعر تحت عنوان : « أنا النور » .

الطفل قال ما لذى يبكيك يا كتابى
فقال قد جئت هنا أبكى على شبابى
أنت قد إشتريتنى للسجن والتراب
نسيت أنى صاحب من خبرة الصحاب
نسيت أن عالم بالطب والحساب
وأنا عندى سائر الفنون والآداب
نسيت أن راحتى كراحة السحاب
أعطى بلا مقابل فلست كالمرابى
أنى أنا النور الذى يهدى إلى الصواب
إقرأ كل نهضة فى صحبة الكتاب
أو لا فبعنى للذى يجد فى طلابى[2]

---

(١) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ص ١٧ .
(٢) أنا النور . ديوان السنهوتى للأطفال ، مرجع سابق .

فالمقطوعة هنا أطول من مقطوعة « الكتاب » عند الهراوى إلى حد ما ولغتها أصعب ، والصور الشعرية تبتعد عن أفهام الأطفال وتتوزع بين الأبيات من المطلع : « للسجن والتراب » ويعنى الشاعر بهذه الصورة إهمال الكتاب بتركه تتراكم عليه الأتربة فوق الأفق ، أيضا هناك من الصور الصعبة من مثل « أبكى على شبابى » ، « كراحة السحاب » والهراوى قص مقطوعته على لسان الطفل مباشرة فى قوله : « أن فتى » وهو نهج أعمق دلالة من القص على لسان الشاعر فى قوله « الطفل قال » ، وأزعم أن مقطوعة أنا النور تصلح للطفولة الوسطى وأن حملت ذات الفكرة التى حملتها مقطوعة « الكتاب » للهراوى فى السمير لصغار الأطفال .

أما الشاعر أحمد شوقى فى قصيدته المشهورة عن « الكتاب » فتنأى – عن عالم الأطفال ببنيتها وطبقتها العالية :

يقول الشاعر :

أنا من بدل بالكتب الصحابا   لم أجد لى وفيا إلا الكتابا

وللهراوى فى « السمير الصغير » أكثر من مقطوعة حول المدرسة منها (تحية المدرسة تحية العلم ، النشيد المدرسى) نختار من بينها مقطوعة تحية المدرسة يقول الهراوى[1] :

يا معهدا علمنى	وبالعهد جملنى
حليتنى من صغرى	بكل خلق حسن
كم فيك من معلم	بر كثير المنن
يعلمه زودنى	بنصحه أرشدنى
تحية يا معهدى	يا أصل عيشى الهنى
أنشأتنى مباركا	لا متى ووطنى

فالطفل عند الهراوى يحب المدرسة ويعترف بدورها ، على نحو ما نظم الشاعر مقطوعته فى إيجاز دال وكلمات دقيقة وفى أبيات قليلة أيضا ، ولم يلجأ الهراوى

---

(١) السمير الصغير – محمد الهراوى ، تحية المدرسة .

للصعوبة باستثناء قوله فى نهاية البيت الثالث (بر - المنن) وهما لفظتان بحاجة إلى تفسير على نحو ما لجأ الشاعر إلى شرحهما بهامش مقطوعته للطفل ، أما صورة المدرسة عند شوقى ، فالطفل يفزع منها ... لذلك استغرقت الأبيات (١ - ٥) عند الشاعر أحمد شوقى ليقدم وبتميزه الفنى الترغيب للمدرسة . إن مقطوعة المدرسة عند شوقى يمكن أن تبدأ من البيت السادس القائل :

أنـا المـصبـاح لـلفكـر أنـا المـفتـاح لـلذهـن[1]

بحيث نراها ملائمة فى لغتها وأفكارها لأطفال مرحلة الطفولة الوسطى ، فهى لا تلائم الطفولة المبكرة مثلما نظم الهراوى مقطوعته « تحية المدرسة » بينما خاطب الشاعر محمد السنهوتى فى « أنشودة المدرسة » أطفال الطفولة المتأخرة من الفتيان فى قوله :

أنا يا مدرستى غرس يديك أنت قيثارى وأطيارى وأيكى
كيف لا يحملنى الشوق إليك وحيـاتى كلهـا وقف عليـك*

فالطفل هنا يشتاق مدرسته ويتغنى بها على عكس ما صنع شوقى ، وللشاعر المعاصر يس الفيل نشيد للطفولة يعكس علاقتها بالمدرسة هو نشيد (مدرستى) الفائز عام ١٩٨٢ م بالمسابقة القومية للأناشيد يقوم النشيد على التكرار بغرض الإيضاح فى لغة قترب من اللغة الممزوجة بروح الشعر يقول الشاعر :

مـدرستى يـا فخـر الـوطن يا مهد النـور مدى الـزمن
أهـواك هـوى يـتمـلكـنى يسرى فى الروح مع البدن
مدرستى يا فخر الوطن
حجـرات الـدرس أحييـك وأحـى زمـلائـى فـيـك
حـاضرك الغـد وماضيـك يسرى فى الروح مع البدن
مدرستى يا فخر الوطن
صـاحبتـك أنـقى سنـواتى يـا نـور الحـاضـر والآتى

---

(١) الشوقيات ، مج ، جـ ١ ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ .
(*) النسبد الفائز بالمسابقة القومية للأناشيد عام ١٩٥٧ م بإشراف وزارتى (التعليم والأوقاف) .

أهـــواك وحـــبـــك فى ذاتى يسرى فى الروح مع البدن
مدرستى يا فخر الوطن[1]

تخير محمد الهراوى شخصية جحا التراثية والمعهود بنكاته ونوادره ليسرد على لسانه أحد النكات الفكاهية الممزوجة باللغز اللغوى ، وقد وفق الشاعر فى استعمال الشخصية الجحوية لفعل « الأمر » (اسمعوا) كى ينبه الأطفال ويحفزهم للاستماع ، ومن ثم يرد جحا على تساؤل الأطفال : ماذا كان يصنع فى (قها) فيرد عليهم ضاحكا : هـ ها (يعنى صوت الضحك) وهنا يفطن الأطفال لمغزى توارد اسم المدينة - قها - مع صوت قهقهة الضحكات فيضحكون طويلا لجحا ومعه . وقد نظم الشاعر حواريته الغنائية - فى قوالب مجزوءة متغيره - لم يتبعها فى سائر أغنياته ، فيبدأ بمنهوك الرجز ثم يتبعه بمجزوء الخفيف ثم يستخدم التفعيلات المجزوءة فاعلن متفعلن - فاعلن - فعلن فاعلن ... على الترتيب بعد ذلك .

ومن الأغانى التوقيعية الخفيفة التى تركز على تكرار الكلمات بغرض الإفهام مع إدخال مفردات جديدة ينمو معها القاموس اللغوى للصغار أغنية شمس الضحى - يقول الشاعر :

أشـــرقت شمس الضحـى فى الســماء . فى الســماء
أشـــرقت شمس الضحـى فى الســماء الـصـــافـيـــة
وهى تعـــطى من صحـــا صـــحـــة . صـــحـــة[2]

وتكرار الألفاظ عند الشاعر له مدلولة فى التأكيد على الإيقاع من ناحية وعلى شرح لفظة جديدة فى السياق اللغوى من ناحية ثانية كقوله : (السماء الصافية) (صحة وعافية) ومن الملامح البلاغية الجميلة قول الشاعر صحا صحة ليترسب فيمخيلة الأطفال اقتران الاستيقاظ المبكر من النوم بالصحة والعافية وللشاعر

---

(١) النشيد الفائز بالمسابقة القومية للأناشيد عام ١٩٨٢ م بإشراف وزارة التربية والتعليم - يس قطب الفيل شاعر مصرى معاصر من مواليد دست الأشراف مركز كوم حمادة ، بحيرة وله اسهاماته الشعرية المهمة فى الحركة الشعرية المصرية المعاصرة .

(٢) أغانى الأطفال ، محمد الهراوى ، ط ١ ، ١٩٢٨ م .

منظومة أخرى حول ذات المعنى فى ديوان سمير الأطفال صاغها تحت عنوان : أنشودة الصباح يقول فيها :

نحن إن أشرق صبح نهجر النوم ونصحو
ونحيى أبوينا فرضا الآباء ربح
ثم نمضى فنصلى إن تقوى الله نجح
ولدور العلم نسعى وإلى العلياء تنحو
نحن للآداب ذخر نحن للاخلاق صرح
نحن للأوطان نصر يوم تدعونا وفتح
ولنا ، كل صباح أمل فى الله سمح[1]

وقد تناول لفيف من الشعراء المعاصرين ذات الفكرة مع اختلاف فى أسلوب التناول من بين هؤلاء الشاعر يس الفيل فى منظومته « فى الصباح » التى يمزج فيها بين الإيمان والعلم فى بساطة :

أصحو من نومى يا أبتى فى الصبح وأبدأ بصلاتى
وأسير ... أسير لمدرستى فرحانا أسبق خطواتى
فى كل صباح يا أبتى[2]

ويؤكد على القيم الروحية فى قوله فى منظومة ما أروع الصباح ، على لسان طفل فى مناجاة رقيقة :

ما أروع الصباح يغرى على النجاح
الطير فى إنشراح يدعوك يا إلهى
تكبيرة المآذن وصحوة المداخن
والموج والسفائن يدعوك يا إلهى
الكل فى بلادى من رائح وغادى

---

(١) سمير الأطفال (بنين) ، محمد الهراوى ، جـ ١ ، ص ٤٤ ، ط ١٩٢٢ م .
(٢) النشيد للشاعر يسن الفيل ، فاز بها فى مسابقة الأناشيد بإشراف وزارة التربية والتعليم عام ١٩٨١ م .

فى معهد ونادى يدعوك يا إلهى[1]

أما الصباح فقد صوره الشاعر أحمد سويلم لصغار الأطفال فى منظومتين أولاهما :

كوك كوك هذا صوت الديك
يشدو كل صباح حى على الفلاح
طلعت شمس اليوم فوداعا للنوم[2].

ومع أن الديكة لا تصيح أوتشدو مع مطلع الشمس وإنما مع فجر كل صباح إلا أن الشاعر التقط من البيئة أحد مظاهرها ليعرفها الطفل ويتخيلها ، ومن ثم يستيقظ مبكرا أسوة بالديكة ، ومنظومة الشاعر الثانية حول الصباح جعل عنوانها : صباح الخير يقول فيها :

صباح الخير يا أمى صحوت الآن من نومى
فضمينى لاحضانك وغنى عذب الحانك
رضاك علىَّ يسعدنى ويهدينى ويرشدنى[3]

إن أنشودة الصباح التى أثبتها الهراوى فى سمير الأطفال ، جمعت بين ثناياها فكرة الشاعرين يس الفيل وأحمد سويلم حول (الصباح والأطفال) وتزيد على تناولها التسلسل المنطقى منذ إشراقه الصبح على الأطفال وحتى انتهاء يومهم ومع ذلك لم تسلم أنشودة الصباح من بعض الهنات من مثل عدم ملائمة وجود البيت السادس فى موضعه من ترتيب الأنشودة ، فتلبية الشبيبة لنداء الوطن يمكن أن يكون خاتمة لأنشودة الصباح ، فلو وضعنا البيت السادس مكان البيت الأخير ، أو مكان البيت الخامس فسيحسن الأطفال إدراك علاقتهم مع الصباح بديلا عن

---

(١) النشيد للشاعر يسن الفيل ، فاز بها فى مسابقة الأناشيد بإشراف وزارة التربية والتعليم عام ١٩٨١ م .

(٢) التربية الحركية والموسيقية ، أحمد سويلم (بالاشتراك) ، ط ١ وزارة التربية والتعليم ، ١٩٨٨ م .

(٣) المرجع السابق نفسه . (بالاشتراك) ، ط ١ وزارة التربية والتعليم ، ١٩٨٨ م .

الوطن وانتصارته وفتوحاته (لاحظ وجود لفظة : فتح) لسبب التقفية ، وليس معنى ذلك أن البيت الأخير القائل :

ولنـــا ، كــل صبــاح   أمــل فى الله سمــح

من الأبيات التى يمكن الاستغناء عنها ، ولكننا نقصد بإمكانية - إعادة الترتيب - ليتم به التسلسل المنطقى لإستقبال الصباح وممارسة النشاط عند الأطفال بكل البشر والتفاؤل والبهجة وهو ما قصده الشاعر من هذا البيت وإذا كان أحمد سويلم قد خص الأم مع صغيرها فى مقطوعة صباح الخير ، باعتبارها أكثر التصاقا بوليدها من الأب فإن الهراوى كان يفطن لذلك أيضا ، ولكنه يضعهما فى منزلة واحدة ، فالطفل يخص بالتحية الوالدين معا فى الصباح فى قوله :

أبى وأمـى الـغــالـيــة   أصبحتـــا فى عـــافيــة
تــقـبـيـلتـــان لـــكـــا   ظـــاهـــرة وخـــافـــيـة
أحـــداهمـــا عـــلى فمى   وفى فؤادى الثـــانـيـــة

ويمضى الشاعر ليصور لنا عادة سلوكية اختفت من حياتنا أو تكاد فى قوله :

صبــاح الخــير يـــا أبتى   صبــاح الخير يــا أمى
أقبـــل منكـــا كفـــا   أعيش بفضلهـــا الجم[1]

لذلك قصد الشاعر فى منظوماته أن يعمق علاقة الطفل بالوالدين والأهل والتوفر على حبهم ، وله منظومة تزيد محصول الأطفال لغة ، وتحرك خيالاتهم عن طريق هذه الحوارية المعنونة « حب الأهل » يقول الشاعر :

أخـــتى قـــالـــت مـــرة   أجـــب عـــلى ســـؤالى
أبـــوك هـــل تحبـــه ؟   فـــقـــلت رأس مـــالى
قـــالـــت : وأمى مـثــله   قـــلت بـــلا جـــدال
قالت : ومن غيرهمـــا ؟   قـــلت : جمـيـــع الآل[2]

---

(١) الطفل الجديد ، محمد الهراوى ص ٧ - ١ ، ط ١ ١٩٢٣ م .
(٢) الطفل الجديد ، محمد الهراوى ص ٧ - ١٩ ، ط ١ ، ١٩٢ م .

إن الهراوى وهو يكتب للطفولة أشعاره السهلة ، عميقة المغزى كان يدرك طبيعة دور الأطفال من الجنسين من بعد ... يقول فى مطلع (أغنية للطفل عند النوم) :

نم فى سريرك يا ملك   أنت الفتى ما أجملك
ما فى الثرى ، أو الفلك   لك مشية حتى القمر

ولكننا قد نعجب من تغزله فى الفتى ! لحظة النوم فى امهودته وهو يلاطفه فى مهده ، مثل هذا ربما يحث فى الواقع ، غير أن الشاعر محمد الهراوى يطرح رؤيته لطبيعة دور المرأة من خلال (أغنية للطفلة عند النوم) وهى أغنية طويلة إلى حد ما (أربع عشرة بيتا) ونؤمن مع الشاعر بأهمية الدور المعنى الذى ينتظرها فى المستقبل فى الأبيات القائلة :[1]

يا نور البيت وزينته   البيت يطالب ربته
قولى لبنات الأحرار   ما من عيب أو من عار
أن نقضى أعمال الدار   كنسًا أو طبخا أو عجنا
ابنية يا فخر الجيل   ربى للنيل بنى النيل

وأزعم أن الشاعر كتب هذه المنظومة فى إطار عصره ، قبل أن تنافس المرأة الرجل - تقريباً - فى الأوقات الحاضرة بل وتزاحمه كذلك فى ميادين العمل وشئون السياسة والمجتمع وقد وقع الشاعر فى تناقض مع ما يطلبه من الأطفال فى أمهودة أو أغنية لتنويم الطفلة عندما قال فى البيت التالى وهو ينشدها متعلمة :

قومى فى الصبح إلى الدرس   فالعلم جمال للنفس

ثم يراها ربة بيت فى البيت الثالث عشر فى قوله :

أبنية يا فخر الجيل   ربى للنيل بنى النيل

ربما أراد الشاعر بذلك التصاق الأمومة بالطفولة أطول مدة ممكنة تنشئة متكاملة مع مؤسسات المجتمع ، ومن ثم تعود إلى دولاب العمل ثانية - وهذه رؤية المؤلف أيضا - ومع ذلك فالأغنية طويلة أفراد لها الشاعر بالهوامش خمسة شروح لمفردات

---

(١) سمير الأطفال (بنات) ، محمد الهراوى ، جـ ٣ ، ص ١٤ ، جـ ١ ١٩٢٣ م .

صعبة ، ولم نحس بالإيقاع المنغوم الملائم لتنويم الطفل إلا مع البيت التاسع وحتى البيت الرابع عشر .

وللهراوى منظومة خص بها أبنته فاطمة أسماها « محاضرة فاطمة » أودعها ديوانه سمير الأطفال للبنات ، وهى موجهة للطفولة على لسان ابنته* وإن لم يصرح بذلك - يقول فيها :

فاطمة تلقى علينا ... واسماعنا محاضرة
حديثها تسوقه ... كأنه مسامرة
قد ذاكرت وأظهرت ... نتيجة المذاكرة
ظلت تقص سيرا ... عن العصور الغابرة
تعقد بين عهدها ... وعهدنا مناظرة
تقول مصر أمنا ... تحتاج للمؤازره
والنيل لا تنسى له ... على المدى مآثره
بالعلم نعلو بهما ... إلى النجوم الزاهرة[1]

فى حديث الهراوى على لسان فاطمة ، أودع الشاعر بضع مفردات جديدة على قاموس الطفل اللغوى مثل (تسوقه - أظهرت - سيرًا مناظرة - الغابرة - مآثره - المؤازره) وغيرها ربما لا يدرك الطفل مثل تلك الألفاظ إلا من خلال السياق اللغوى فمدلوله لفظه (السير) يختلف تماما عن لفظة (السير) وهكذا ، وهذه المنظومة فيما نزعم من الأدب التعليمى عن طريق غرس قيمة المعرفة والعلم ففاطمة لم تصل إلى إمكانية إلقاء محاضرة إلا بعد التوفر على القرادة وقطف ثمار المذاكرة ، وقد ربط الشاعر - يومئذ - بدور العلم وأثره - فى خدمة المجتمع فى البيت الآخير القائل :

بالعلم تعلو بهما ... إلى النجوم الزاهرة

إن فاطمة (المحاضرة) لم تنس فضل نهر النيل على الوطن مدى الزمن وكأنما

(*) أودع الهراوى أسماء أولاده فى الواقع بين ثنايا منظوماته كنماذج للأطفال المصريين والعرب .
(١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠ .

تنادى فتية مصر وشبابها من نصف قرن مضى بحتمية مساندة مصر الأم يقول الشاعر :

تعقــد بـين عهــدهــا وعــهــدنـــا منـــاظـــرة

وللشاعر محمد الهراوى العديد من **المقطوعات الوصفية** التى توزعت بين دواوينه للأطفال ، ونعنى بالوصف هنا تعامل الشاعر مع معطيات البيئة المحيطة بالطفل فيصف ظواهر الأشياء بها من أماكن ومخترعات ومؤسسات وحيوانات وأطيار فالوصف عند الهراوى للأطفال له مغزاه ومضمونه الذى يتجاوز تجويد الصورة الفنية الشعرية ، لذلك فهو وصف يتسم بالوضوح والمنفعة ، وضوح فى الشكل الفنى لا يصل إلى التقريرية الفجة أو المباشرة كلغة التخاطب اليومية وإنما وضوح يألفه الأطفال ويقدرونه ، والقوالب قصيرة والبحور مجزوءة والأوزان فى معظمها - إيقاعية .

والصور الشعرية - على قلتها - محدودة قريبة المعنى ، أما المنفعة فنلمسها بما يطرحه الشاعر من مضامين وأفكار وهو يصف الحيوان أو الطير أو المخترعات ... إلخ . وقد يسخر البعض من وصف الهراوى : لحقيبة اليد ، والالة الكاتبة والتليفون ، وركوب السيارة وركوب الحصان أو رجل المطافىء وغيرها من الأشياء التى يدركها الكبار على أنها أشياء مألوفة وعادية وغير ذى قيمة ، لكنها - وقتذاك - عند الأطفال غير مألوفة بل وجديدة على عوالمهم الإدراكية ومعاملاتهم السلوكية والمظاهر المحيطة بهم فى الطبيعة والحياة .

ومن بين المقطوعات الوصفية عند الهراوى مقطوعة بعنوان « المنظار » وتضمنها ديوانه سمير الأطفال يقول الشعر فيها :

ومـــنـــظار زجــاجـتــه دقيق الشىء تـبـديـه
وأصــغـــره وأبـــعـــده تجـليـه وتـديـنـه
أمــير الجيش يصحبــه ليــأمن من أعـــاديـــه
ورب الـفـلك يحـمـله فيجـزيـه ويـرسـيـه
وفى صيــد وفى سفـر تـرى الإنسـان يبغيـه

كأن المرء « زرقاء اليمامة » إذ يـرى فـيـه[1]

فى المقطوعة الآنفة صورة وصفية واضحة تهدف إلى تقريب شكل المنظار لمخيلة الطفل وقد رسم الهراوى فى دقة وإيجاز بالغين - فائدة المنظار وأوجه استعمالاته مما يزيد معارف الأطفال ، ولغة المقطوعة محمله ببعض الألفاظ الجديدة على الطفل مما يحقق النمو اللغوى المطلوب باكتسابه مفردات جديدة مثل (تجليه / تدنيه - رب الفلك - يبغيه) وغيرها إن البيت السادس والأخير من المقطوعة بحاجة إلى وسيط يشرح للأطفال معنى زرقاء اليمامة ويسرد عليهم قصتها ولعل البيت الثانى أوضح ذات المعنى المقصود من البيت الأخير يقول الشاعر وهو يصف العدسة الزجاجية للمنظار :

وأصـغـره وأبـعـده تجـليـه وتـدنـيـه

فالأشياء الصغيرة توضحها ، والأشياء البعيدة تقربها كذلك ، وهى صورة محدودة الخيال جميلة التركيب يدركها جمهور الطفولة .

ووصف الهراوى (الساعة) الميقاتية فى مقطوعة حملت ذات العنوان الذى تناوله أحمد شوقى فى مقطوعته الساخرة ساعة .. ومنها قوله :

وعقـراهـا الـزمـا ن فى اختـلاف بـين
إذا شئت لم أحتفـل أو وقـفـت لم أغبـن
أحـملهـا لأنها تـغشـى فى الـزمـن[2]

ويقول الهراوى فى مقطوعته الساعة :

وسـاعـة حمـلتـهـا تحسب سـير الـزمـن
أن فـرغـت أملؤهـا فى وقـت المـعـين
فـلم تـعـجـل لحـظة ولم تـقـف ولم تـن
رتـبت أعـمـالى بهـا عـلى نـظام متقـين

(١) سمير الأطفال ، محمد الهراوى ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) ديوان شوقى للأطفال ، عبد التواب يوسف ، ص ١٥٥ (نص غير موجود بالشوقيات المدبجه) .

كل امرىء أوقاته فوضى فغير محسن[1]

فالساعة عند أحمد شوقى مضطربة ، فى عجالتها وفى توقفها ، لهذا فهو لا يهتم بالشطط الذى تحدثه معه ومع الزمن (التوقيت) فهى إذا غير ذى بال عنده ، ومع ذلك يحملها كى يسخر منها لأنه تغشه فى الزمن !.. أما الساعة عند الهراوى فمنظمة منضبطة معه ومع الزمن ، وهى هامة لضبط أعماله ، وقد لخص الشاعر مغزى علاقته مع الساعة فى حب النظام ونبذ الفوضى ، وهى سمة سلوكية نحتاج إلى تأصيلها يقول الشاعر : ويبدو أن الهراوى كان يقصد إلى أن يرسخ « النظام » كمفهوم وسلوك وقيمة فى حياة نابتة كل الأمة لذلك صاغ لهم أكثر من منظومة حول حب النظام وفوائده ، ومنها أيضا هذه المنظومة الطريقة المقيدة حول فائدة « المفكرة » التى شاع إسترفاد الأسم الأجنبى لها فى الوقت الحاضر (أجندة) يقول الشاعر تحت عنوان (المذكرة) :

مذكرتى تنبهنى لأعمالى وأوقاتى
أقيد فى صحائفها مواعيدى وحاجاتى
فليس بغيب عن بالى بها ماضى ولا آتى
وليس يفوتنى شيء أحدده بميقات
فأعمالى موزعة على يومى بساعات
وأيامى مرتبة وأخلاقى وعاداتى[2]

فالوقت المنظم يقترن بالأعمال المنظمة الناجحة بحيث يصبح مفهومنا وتقديرنا لقيمة الوقت سمة سلوكية إيجابية لها علاقتها بقيم أخى هامة كالعمل والإنتاج ، وإذا استطعنا تعميق قيمة النظام مع الأطفال من خلال التربية المتكاملة وأحد وسائطها الأدب كما فعل الهراوى – لعالجنا السلوكيات السلبية التى تسود حياتنا فى هذا الجانب من مثل قتل الوقت بالزيادة والنقصان والنسيان والاهمال أما عن لغة المقطوعة فتميل إلى الإيضاح والإفهام بتكرار الألفاظ فى سهولة ويسر بحيث اختلفت – أو تكاد – من المقطوعة أية ألفاظ صعبة باستثناء لفظة جديدة أوردها

---

(١) سمير الأطفال ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .
(٢) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

الشاعر فى البيت الثانى وهى (صحائفها) ولكننا نفهم من السياق فى قوله أقيد صحائفها .

مع أمتع منظومات الوصف عن الهراوى مقطوعة (الكمان) يقول فيها :

أعـــزف بـــالـكـمـنـجـــا بعـــد إنتهـاء الـــدرس
فــهــى الـتى تـبـعـثـنى مـــن وحـــشـــة لانس
بـالقوس تشـدو طربـا وبـــالبنـــان من حبس
عـــزف الكمنجـــا نغم فيـــه ســـرور النفس[1]

مما لاشك فيه أن الهراوى لم يقصد بمقطوعته الوف لذاته وأنما ليحبب الأطفال فى الموسيقى عن طريق وصف أحد آلاتها الشرقية فى بيت واحد (البيت الثالث) بينما تناول الهراوى الأداء الموسيقى وأثره فى سائر الأبيات ، ومن أجمل الصور الشعرية قريبة المعنى قول الشاعر على لسان الطفل إذ يتذوق الموسيقى (تبعثنى من وحشة لانس) و(تجلو النهى من صدا) وفى قوله فى بساطة مدهشة : (النغم فيه سرور النفس) .

والغريب أن الشاعر استخدم على غير عادته - لفظة عامية مستعملة لآلة (الكمان) وهى (الكمنجا) = وهى لفظة معربة عن الفارسية . أما لغة المقطوعة فتنأى عن إفهام الطفولة المبكرة والوسطى ويقدرها الأطفال والفتيان لأنها محملة ببعض الألفاظ الجديدة على الرصيد اللغوى عند الأطفال من مثل (عزف / تبعثنى / وحشة لانس / النهى) كذلك قد يقع الأطفال فى حيرة بين مدلول لفظتى (أعزف وعزف) فى قوله :

أعزف بالكمنجا التى تناولت المخترعات عند الهراوى مقطوعة (الالة الكاتبة) والتى وصفها كأنما هو المصمم الفنى لهيئتها وأسلوب كتابتها يقول الشاعر فى أبيات منها :

وآلـة كـــاتـبـــــة من اختـــرع الـعصـــر
أحـــرفـهـــا سـلكـيـــة تنبض عـنـــد النـقـــر

---

(١) سمر الأطفال للبنين ، جـ ٣ ، ص ١٠ .

وكـــل حــرف رســمـــه (بـــين) فـــى زر

....

إنـــا نـــريـــد آلـــة من احتـــراع مصـــرى[1]

يستطيع سائر الأطفال التعرف على خصائص الآلة وأسلوب عملها فى سهولة تامة فالمقطوعة من اللون التعليمى ، ووصف الشاعر للألة ليس به تعقيد أو رمز لغوى أو فنى كما أن إيقاع المقطوعة سريع يتلائم وهدف الشاعر من ملاحقة الأطفال بالمعلومات وهو يصف الآلة ، وقد نجح الشاعر فى الخروج من دائرة الوصف واكتساب المعلومات إلى طرح قيمة هامة فى نهاية مقطوعته تحفز خيال الأطفال وتستنفر الهمم لإيجاد صناعة مصرية واختراع مصرى يقول الشاعر فى البيت الأخير :

إنـــا نـــريـــد آلـــة من اختـــراع مصـــرى

ودعوة الهراوى المبكرة لإيجاد اختراع مصرى وصناعة مصرية دفعة للاهتمام بالصناع المهرة بل قرن التعليم بالعمل المهنى يقول د . زكى مبارك ومن الصور المستملحة فى هذا الكتاب (سمير الأطفال) صورة تلميذ يشتغل مع زميل له فى التجارة بعد الدرس وهو ينشد :

أنـــا فى الصبح تلميـــذ وبعـــد الـظهـــر نجـــار
فـــلى قلم وقـــرطـــاس وأزمـــيـــل ومـــنـــشـــار
وعلمى أن يكن شرفا فـــما فى صنعتى عـــار
فـــللعلـماء مـــرتـــبـــة ولـــلصـــنـــاع مـــقـــدار

ومن المنظومات الجيدة التى تشير بالحكمة قوله على لسان طفل يخاطب الببغاء :

بـبغـــائـى ، ببـغـــائـــى أنت شبـــه الفصحـــاء
كـــلما أرســـلت قـــولا تـرســـل القـــول ورائى
وأذا غـــنـــيـــت لحـنـــا صحت مثـلى بـالغنـــاء
أيهـــا الطـائـــر خذ عنى حـــديـــث الحـــكـــمـــاء

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

ليس يغنيك لسان دون عقل وذكاء

وهناك منظومة لأطعم لها كمنظومة « الهر » حين ينشد الطفل :

هرى مصرى عالى القدر
وله وجه مثل النمر
وله عين مثل النسر
وله جلد حسن الشعر
وله زيل طول الشبر
يأتى عندى بعد الفجر
يمشى حولى حافى الظهر

فهذه منظومة تافهة ، مهما قيل أنها نظمت للطف ! وعبارة (هرى مصرى) عبارة سخيفة وأسخف منها وصف الهر بأنه (عالى القدر) مع إن المنظومة فى مجملها صورة وصفية دقيقة للهر عرضها الشاعر فى بساطة دالة بحيث وفق فى دقة وصف هيئة « الهر » من ناحية ، وحفز خيال الطفل مع استعماله التشبيهات القريبة فى الوصف فى الطف إشارة وأوجز عبارة من ناحية أخرى . أما عن البيت الأول الذى فجر إشكالية اللغة والمعنى فيما يرى د . زكى مبارك فإن الشاعر جانبه الصواب فى البيت الاستهلالى فقط أما سائر أبيات المقطوعة فيبدو أن د . زكى مبارك حكم عليها تبعا للاستهلال السيىء الذى نظمه الهراوى وفى واقع الأمر أن عبارة (هرى مصرى) من العبارات المتنافرة وقد ساعد على إفساد الوصف إلصاق (المصرية) بالقط فى أعلى منزلة ، ويبدو أن الهراوى قصد - يومئذ - التأكيد على كل ما هو مصرى - كما هو واضح فى معظم منظوماته للأطفال حتى ولو كان ذلك هو القط البلدى (المصرى) فى مواجهة القط الأجنبى ومهما يكن من شىء فإن الشاعر لو حذف البيت الأول أو قام بتغييره دون الحديث عن الهر فيترك سائر المقطوعة كاللغز اللغوى ، ربما يكتشفه الأطفال من عرض الشاعر لأوصافه . ولأحمد شوقى منظومة بعنوان « هرتى » : نختار منها هذه الأبيات :

(١) البلاغ ، مقاله للدكتور زكى مبارك عنوانها : أدب الأطفال بين الهراوى وكامل كيلانى ، ع ٩٨ ، ١٩٣١ م . ومقطوعة وصف الهر أثبتها د . زكى مبارك ناقصة الأبيات (من ١٣ - إلى ١٨) .

هــرتى جـد الـيفـه   وهـي للبيت حـليفـه
ومن الأثـواب لم تملك   ســوى فـرو قـطيفـه
أنما الثوب على الانســ   ــان عنوان الصحيفة[1]

ووصف « قطة » شوقى - كما سبق أن أوضحنا فى الباب السابق - ينم عن شاعرية خصبة وقدرة على إمكانية ملائمة مقطوعته لأذواق الصغار والكبار لغة ومضمونا بينما وقفت مقطوعته محمد الهراوى : « وصف الهر » عند الوصف المحدد لأطفال رياض الأطفال ، بالتجويد عند شوقى لم يقف عند الذى ذكرناه فقط وإنما يجيء كذلك بتلخيصه مفهوم النظام عند الهر موازنة بالإنسان فى قوله :

إنما الثواب على الانســ   ــان عنـوان الصحيفـة

ومن المنظومات الخفيفة التى كتبها الهراوي منظومة « الطائر » يقول فيها :

الـطائـر الـصـغـير   مـسكـنـه فى الـعش
وأمــه تــطيــر   تــأتى لــه بــالــقش
تخــالــه الـطيـور   إذا بـدا فى الفـرش
كــأنـه أمــيــر   يجلس فـوق العـرش
يـا طـائـر مـا أجملك   يـا زهـرة فى الشجـر
أنت على الغصن ملك   مـكـلل بـالـزهــر
ســرنى هــواه حملك   وطــر بــغـير حــذر
لا ولا جهاد الأم لك   بـا طـائــر لم تـطر[2]

فالطفل يلاعب الطير ويغنى لها ، ولم ينس الشاعر وهو يصف الطائر فى عشه وفى طيرانه أن يعترف بدور الأم فى البناء والتعليم ، بناء الجسم (السكن والغذاء) وخبرة النصح (التدريب على الطيران) وهى منظومة تنقسم إلى مقطعين : أولها وصف الطائر الوليد فى العش حتى يكبر وثانيها وصف الطائر المحلق بين الأغصان فوق الشجر (الأبيات ٤ إلى ٨) ، والمقطوعة من النظم المستجاد ، لا تميل إلى التعقيد ولا تنزل إلى درك من الإسفاف .

---

(١) الشوقيات ، مج ٢ جـ ٤ ، ص ١٨٨ .
(٢) الطفل الجديد ، محمد الهراوى ، ص ٣٧ .

وقد أحتفل الشاعر محمد الهراوى بالمنظومات الشعرية التى تحمل فى طياتها المقاصد السلوكية أو الأخلاقية الحميدة التى أراد بها أن يغرسها فى نفوس الصغار وهى تتوزع كذلك دواوينه للأطفال ، وقد التقط الشاعر من الحياة المواقف الإيجابية ليعمقها والمواقف السلبية للأطفال لينبذها فى هذا الجانب السلوكى من منظوماته ، بين هذه المقطوعات مقطوعة أخلاق فاطمة :

فاطمة لا تغضب   إلا لحق يغضب
لا تحلف الايمان لغوا   لا ، وليست تكذب
حديثها محبب   وطبعها مهذب
فاطمة فى درسها   مجدة لا تلعب
فاطمة ليست تسيء   لامرىء أو تذنب
لا تعرف الشتم الذى   عنه نهاها الأدب
أدبها معلم   أكسبها الخلق أب[1]

هذه العين الراصدة لسلوكيات فاطمة يعكسها الشاعر فى أسلوب تقريرى على لسان طفل أخر مما يألفه الصغار ، فالحديث من أخلاق فاطمة يكسبهم المحاكاة والتنافس إلى ذلك ، وقد يتصور البعض أن مثل هذه المنظومات التقريرية لا تفيد الطفل فى شيء وإنما نزعم العكس من ذلك فدور الطفل مع المعلم فى المدرسة أو مع الوالدين فى الأسرة ينساب بين أبيات المنظومة فى غير وعظ ليحارب أكثر من عادة سلوكية مذمومة كالصراخ والكذب واللغو بالقسم والاستغراق فى اللعب أو إهمال الدروس والإساءة للغير ، والشتائم - أن الشاعر يقدم للفتيات من الأطفال صورة شعرية مثلى لأدابهن فى الطريق من مثل قوله فى مقطوعة : آداب الفتاة فى الطريق :

إذا ما سرت فى الطرقات فامشى   على سنن الكمال والاحتشام
ومرى بين أسراع ومهل   وصدى السمع عن لغو الكلام
كذلك فاسلكى فى كل سير   سبيل الجد يابنت الكرام[2]

---

(١) سمير الأطفال (بنات) ، جـ ٢ ، ص ١٨ .
(٢) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

ويؤكد الهراوى على قيمة الأمانة عند الصغار بحيث تتأصل فى نفوسهم منذ نعومة أظافرهم يقول الشاعر :

أنـــا فـــتى أمـــين لى خـــلق وديـــن
الحـق لا أضـيعـــه الســـر لا أذيعـــه[1]

منظومة شعرية أخى للهراوى تنم عن خبرته بالحياة والأحياء فيلتقط من هذا الجانب أحد السلوكيات المتعلقة بقبول (الهدية) وقد أراد الشاعر بمنظومة قبول الهدية أن يقف جمهور الطفولة على معنى الأهداء ، والهدية ، والمهدى إليه وقد يتصور البعض ما علاقة الصغار بتلك المنظومة ؟ والإجابة يسيرة : أنهم دائما يهدى إليهم فى مناسباتهم وأعيادهم هذا من ناحية أخرى ، لذلك لجأ الشاعر إلى التفصيل والشرح واستعمال أفعال الأمر (النهى) والتشبيهات الدالة على الموقف ، ونختار من منظومة الشاعر هذه الأبيات :

تـــقـــبـــل الهـــديـــة من حســـن الـــطـويـــه
وعف عنهـــا من يـــد ســـيئـــة دنـــيـــه
وأنت إن أعـــطيتهـــا فـــالـــيـــد الـــنـــقـــيـــه
أصـــل الهـــدايـــا ثقـــة وصـــلة ودّيـــه[2]

ويختتم الشاعر منظومته ببيت دال على مغزى الهدية بحيث لا يحيد الأطفال عنه أو يتحولون عنه فى المستقبل فى قوله :

فان تحل عن أصلهـــا تحـــل إلى بـــليه

وللشاعر منظومة سلوكية أخرى يبدو أنه التقط فكرتها مما كان يشاهده على مقربة من « دار الكتب السلطانية » القديمة - محل عمله يومئذ - وهى مقطوعة زيارة القبور :

زيـــارة الـــقـــبـــور بـــالـكعـــك والـفـــطير
ليســـت من الـصـــواب ولا إلى ثـــواب

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨ .
(٢) السمير الصغير ، ص ٢٣ .

والنـــوم فى المقـــابـــر نـــوع من الكبـــائـــر
فـديـنـنـا يـــأبـــاه والعقـــل لا يـــرضـــاه
ومـــا مـــن التـــرحـــم أبـــاحـــة المـــحـــرم
فـــالـســنـــة المـفـضـلـة زيـــارة مـــعـــجـــلة[1]

هذا الخطاب الشعرى المباشر من الشاعر يتوجه إلى الكبار والصغار على السواء ، فالصغار من خلال تلك المنظومة يقفون على المفهوم الدينى الصحيح للزيارة ونبذ السكن أو النوم بالمقابر ، ومع ذلك - لقد جانب الصواب الشاعر - فى تلك المقطوعة ، فكان الأجدر بالشاعر إلا ينشرها بدواوينه وأنما إلى شعره المكتوب للكبار ، لأن عالم الطفولة أبعد ما يكون عن « المقابر » أو مغزى إباحة المحرم و« الكبائر » مهما كان المبرر الفنى عند الشاعر كى يقدم صيغة سلوكية عقدية للزيارة أو الترحم على الموتى .

وللقصة الشعرية نصيب يذكر عند الهراوى ، إذ خص الأطفال ببعض المنظومات القصصية وهى (الطفل والطائر المغنى ، الطفل والهر المرائى ، حيلة نزهة الكلاب ، الكلب والحصان ، العطف الأخوى ، الشقاق مجلبة الفشل ، كيف يلاعب الملوك أبناءهم ، بين جد وحفيدته) .

وأزعم أن الهراوى لم يضف إلى المكتبة القصصية الشعرية للأطفال آية أفكار جديدة ذات قيمة تذكر على التى قدمها عثمان جلال أو أحمد شوقى فمعظم القصص الشعرية عند الهراوى تفتقد إلى الفكرة أو المغزى الحكيم وكذلك النسيج القصصى التام ، وبرغم سلاسة وسلامة اللغة عند الشاعر ، فمنظومة الطفلة والطائر المغنى على سبيل المثال لا تزيد أو تنقص عن فكرة طائر يصدح بالغناء فينسى بشدوه - كل ذى هم وحزن . أما قصة الطفل والهر المرائى لانكاد نلتقط منها سوى البيت الأخير القائل :

عبثـــا يخفى المـــرائـــى مـــا بـــدا فى مقلتيـــه[2]

---

(١) سمير الأطفال للبنات ، جـ ٣ ، ص ٥٠ .
(٢) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

أما سائر الأبيات فتقوم على فكرة تودد « الهر » إلى صاحب الطفل بعد أن شمّ رائحة الطعام .. فهل حاجة الحيوان لسد رمق الجوع ذريعة لإلصاق فكرة النفاق فى قصة شعرية لا روابط بينها كسابقتها . أما قصة « نزهة الكلاب » ورصيفتها « الكلب والحصان » فمؤداها الترويح والتسلية لصغار الأطفال على الرغم من عدم وجوداية مضامين سلوكية أو وعظية أو فنية على لسان الحيوان فى نسيجها . والطريف أن حكاية نزهة الكلاب نشاهدها الآن (مسموعة مرئية) فى ألعاب السيرك بجسدها البشر مع الكلاب فى لعبة واحدة ، أما قصة الكلب والحصان فهى من ألعاب الأطفال الترويجية وليست من القصة الشعرية فى شىء .

وليس معنى ذلك أن الهراوى لم يكتب القصة الشعرية الملائمة للأطفال فله قصة « العصطف الأخوى » و« حيلة » وهما من خيال الشاعر وابتكاره ، ففى قصة « العطف الأخوى » وفق الشاعر فى أحكام صياغتها وسردها على لسان أولاده يحيى وفاطمة مع احدى القطط ، ذلك أن أبنه الشاعر (فى الواقع والقصة) أرادت ذات يوم أن تطعم القطة مثلما يطعمها شقيقها يحيى :

فطنت الهرة أنها أتت　　تريد أن تحرمها ما أطعمت
فرفعت لها يدًا بشرها　　وخدشت فاطمة بظفرها

وهنا يثور يحيى عندما رأى دماء فاطمة ، فذهب إلى القطة :

القى بها من فوره بعيدا　　وقال قولا طيبا سديدا[1]
الأخت باهرة فوق الهرة　　ومن يساوى صدفا بدره ؟

ويقول الهراوى فى قصته الشعرية القصيرة (حيلة) :

رمى غلام بكرة　　فاقتربت من شجره
وكان مربوطا بها　　كلب يخاف ضرره
فدار حول جذعها　　والقلب يقفوا أثره

(١) سمير الأطفال للبنين ، جـ ١ ، ص ٤٠ .

فقصر الحبل له   وعاد يأخذ الكرة[1]

وهى من القصص الشعرية الطريفة التى تقوم على أعمال العقل والتخيل بالحيلة المناسبة لدفع الخطر ، ويستطيع أن يدركها سائر جمهور الطفولة بالاستماع والقراءة على درجة ، فلغتها سلسة سليمة ، وموسيقاها ذات صدى وإيقاع منغوم وفكرتها متخيلة جديدة بين « كلب وطفل » فى محاورة قصيرة بينهما تنتهى بنجاح حيلة الطفل فى الإفلات من إيذاء الكلب له .

أما قصة « التشاق مجلبة الفشل » للهراوى فتدور حول الخلاف الذى نشب بين ثعلبين على فريسة تصيداها معا ، وبينما هما يتعاركان ينقض على الفريسة أحد الصقور فيأخذها منهما فيندما ومن ثم يقول الشاعر :

ان الشقاق دائما   مجلبة للفشل[2]

والملاحظ أن ذات المعنى سبق أن تناوله عثمان جلال فى بعض حكاياته من مثل : (اللصان والحمار – فى الديكين والدجاجة – فى الضفدعة والفارة) يقول عثمان جلال فى نهاية حكايته (اللصان والحمار) :

تراهما يضيعان الثمرة   (لغيرهم) فى ساعة المشاجرة[3]

اقتبس الهراوى كذلك فكرة قصته : كيف يلاعب الملوك أبناءهم ، من الأدب الفرنسى عن قصة حقيقية وقعت لهنرى الرابع ملك فرنسا وقد دخل عليه أحد سفراء أسبانيا فجأة وهو يحبو عهده لويس السادس عشر :

فابتسم الملك له   وقال وهو يهرج
ألك مثل ولد   تسره وتبهج
قال نعم قال أذن   فانهج له ما أنهج[4]

أخر القصص الشعرية عند الهراوى هى قصة (بين جد وحفيدته) ويسردها

---

(١) البطفل الجديد ، ص ٣٨ .
(٢) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٣ ، ص ٢٦ .
(٣) العيون اليواقظ ، ط ١ ، ص ٤٣ .
(٤) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٣ ، ص ١٦ .

الشاعر على لسان الجد مع حفيدته - وللقصة جذورها التراثية فى الحضارة الإسلامية - غير مرة - ونظم القصة هنا يتجاوز قدرات الأطفال ومداركهم ، فاللغة عند الشاعر أعلى طبقة من مستواه الشعرى الثابت للأطفال فالايقاع رتيب ، والقصة تميل إلى الطول - فطول القصة (٢٥ بيتا) و(البيت الواحد لا تقل عدد كلماته عن عشر كلمات) مما يصيب الأطفال بالشتات وعدم التركيز ، وهى فى النهاية مقتبسة من حياة الشاعر الفرنسى العظيم فكتور هيجو مع حفيدته الذى صاغها فى قصيدة - وتدور حول أسلوبه معها فى الثواب والعقاب والضحك والعتاب) ومهما تصرف الهراوى بمقدرته على ابدال الأسماء أو أسلوبه السردى القصصى فالقصة على طولها لا يستطيع إلا الفتيان والشبان متابعتها يقول الشاعر فى صورة لغوية بعيدة عن عالم الطفولة :

سمعت بكـاءها فكـأن هنـدا تفيض الدمع من قلب المذاب[1]

استقل الهراوى بنظم شعرى سهل فى غرض آخر من أغراض شعر الطفولة وهو منظوماته القصيرة حول المهن بما يتطلع إليه الأطفال من مهن تنتظرهم فى الحياة فى المستقبل ، أو ليتعرفوا على طبيعتها من حولهم ، وأشهر مقطوعات الشاعر - إلى وقتنا الحاضر - مقطوعة التلميذ الصانع الذى يعمل بالتجارة إلى الجانب التعليمى ومطلعها القائل :

أنـا فى الصبح تلميـذ وبعـد الظهـر نجـار

وقد تناول الهراوى فى ديوانيه « السمير الصغير » و« سمير الأطفال » عدة مهن تحدث عن أصحابها من مثل الفلاح ، الحذاء ، الطبيب ، المحامى - الخطيب الشاعر ، وقد حرص على إبراز شخصية كل مهنة عن طريق ذكر سماتها الدالة عليها فى الواقع ، كى يتعرف عليها الطفل ويقف على طبيعة عملها بالحياة ، وربما أعجب الطفل بأحد الشخصيات التى يعرضها الشاعر فيتوق إليها وتقتديها بعد ذلك .

---

(١) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٣ ، ص ١٦ .

يستهل الشاعر محمد الهراوى مقطوعة المحامى بقوله :

أنا محامى القضايا أنا لسان الدفاع
أجل الحقيقة حتى تبدو بغير قناع

إلى قوله :

ولى ضمير أراعى وغيره لا أرعى
وقف للحق علمى ومنطقى ويراعى[1]

أما مقطوعة « الخطيب » فيقول الشاعر فى مطلعها :

يابنى الوطن يا أولى الفطن
أن عزمكم غير ذى وهن

إلى البيت الحادى عشر والأخير القائل :

وارفعوا لنا راية الوطن[2]

فمقطوعة الخطيب ليست كسابقتها فنحس بالشاعر وهو يقدم لنا شخصية المحامى وهو يتحدث عن نفسيته وعن طبيعة مهنته ، بينما لم يفصح الشاعر فى مقطوعة الخطيب عن شخصيته لا بالتصريح أو بالإيماء ، بل لم يذكر إسمه أو أسلوب مهنته فى الحياة ، أن هذه المنظومة يمكن أدراجها فى الأناشيد والأشعار الوطنية للشاعر ، خاصة وأن للخطيب أكثر من دور فى الحياة .

أما مقطوعته عن الطبيب فقد صورها للأطفال خير تصوير بقول الشاعر :

أنى طبيب مجد ما للعلوم إنتهاء
ولى هنالك بحث بطول واستقراء
وفى العيادة عندى لكل داء دواء

ولم يقع الشاعر فى مقطوعة « الطبيب » فى خطأ التعقيد اللغوى إلا فى البيت الأول القائل :

---

(١) سمير الأطفال للبنين ، جـ ٢ ، ص ٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .

أنا الطبيب النطاسى لى بالمريض اعتناء[1]

ولو تحقق ما قصده الهراوى من وراء نظم مقطوعته حول مردود مهنة الفلاح لملكت مصر قرارها وحريتها بالاعتماد على ذاتها تقول أبيات من المقطوعة :

أنا الفلاح فى مصرا ارد ترابها تبرا
فلا تبقى يدى فقرا يراد بها ولا فقرا
فمن نخلى لكم رطب ومن كرمى لكن عنب
ومن حقلى لكم قصب وقطنى يجلب اليسرا

إلى قوله :

سانميها زراعات بماشية والات
وأكثر من نقابات وانهض نهضة كبرى
واحفظ لك الوادى تراث أبى وأجدادى
وأسلمه لأولادى عزيزا سائدا حرا[2]

إن صورة الفلاح المنتج كما حدد ملامحها الهراوى منذ أكثر من نصف قرن تكاد تختفى من حياتنا ، فالفلاح عند الهراوى صديق الأرض ، يتغنى بها وبخبراتها يمتزج عرقه بترابها ويفخر بتنوع محصولاتها وزيادة رقعتها ، أما فلاح اليوم ، فاستمرأ مظاهر التحول الحضارى وهجر الأرض إلى مهن هامشية أخرى للمدن أو القرى شبه المدن أو لخارج الوطن أن قيمة التمسك بالأرض عند الهراوى تعنى الخير والنماء والحرية أما هجرة الأرض ، أو عدم استصلاحها ثم أهمالها أو البناء فوقها يعنى تقلص دور الفلاح فى حياتنا وهو ما فطن إليه الشاعر فى مقطوعته حول الفلاح ، لقد خص الله سبحانه خيرات أرض مصر بالذكر فى القرآن الكريم دون يابسة الأرض جميعا كوعاء للخير لا ينضب .

ومن المقطوعات القصيرة التى أراد الهراوى أن يغرس من خلالها فى نفوس

---

(١) المصدر السابق ، نفسه .
(٢) المصدر السابق ، جـ ٣٣ ص ٤ .

الصغار حب النظام مقطوعة (التربية والنظام) يقول الشاعر فى نظم سهل مباشر :

أن الـذى يـرتـب متـاعـه لا يـتـعـب
فـكـل شىء عـنـده فى مـوضـع أعـده
مـتى بـعـد الـيـه يجـده فى يـديـه
من غـير بحث يجهده ولا زمـان يـفـقـده
حسن نـظام الـعمـل يضمن نيـل الأمـل[1]

وفى المقطوعة الأنفة لا تقع أيدينا على لفظة صعبة ، ولا صورة مكثفة والإيقاع متناظر متماثل يقوم على إزدواج القافية فى كل بيت ، ومضمون المقطوعة بهدف فى وضوح تام إلى تعميق النظام كأساس تقوم عليه كل الأعمال وتحقق من طريقة الأمال ، وللشاعر أحمد سويلم مقطوعة مماثلة قصيرة تحمل ذات العنوان وهى « ألنظام » يقول فيها :

كـل شىء لى مـرتب وجـمـيـل ومحـبـب
كـتـبـى أو أدواتى وثـيـابى الـنـضـرات
أنـا فى البيت منـظم ولهـذا أتـقـدم[2]

الفينا الهراوى يختتم مقطوعته بنصيحة للطفل يقول فيها :

حسن نـظام الـعمـل يضمـن نيـل الأمـل

وهو الملمح الذى تناوله أحمد سويلم عندما ربط تقدم الإنسان بالنظام لكنه وقف عند النظام المحدود بالبيت فقط ، بينما لجا الهراوى إلى تجويد النظام فى العمل على إطلاقه - فهو أكثر دلالة لمفهوم وأثر النظام فى الحياة .

فى السمير الصغير حكاية فكاهية وحيدة تمتزج بألعاب الأطفال وهى حكاية الكب والحصان فالهراوى يقص على مسامع الصغار فى الحكاية موقف طريف يقوم عى المداعبة بين كلب وحصان عندما أطلق الحصان فى أذن الكلب صيحة (توت)

---

(١) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ص ٢٥ .
(٢) التربية الحركية والموسيقية ، مرجع سابق .

المعهودة فى فكاهيات الأطفال بعد أن نجح فى إستدراجه كى يطلق صحيته ويهرب ، يقول الشاعر فى نهاية الحكاية :

قال له الحصان خذ عندى كلام يفرح
فرجع الكلب له وقال قل ما يشرح
فقال (توت) فى أذنه وعاد وهو يرمح[1]

ان الحكاية القصيرة السابقة تهدف فى مجملها إلى الاضحاك والتسلية بين جمهور رياض الأطفال .

ومن أغانى الألعاب عند الهراوى أغنية « الحلقة الدوارة » يقول الشاعر :

دار الصف لفوا ، لفوا
لفوا الأيدى لف القيد
قيد الصحف هو فى القلب
قلبى صافى راع وافى
وافى الود حسن القصد
قصدى الفضل أنا ولأهل
أهل القطر هم فى الصدر
صدر الزمن لبنى وطنى
وطنى مصر ولى الفخر[2]

بث الشاعر من خلال أغنيته التعبير المباشر حول مفهوم الصداقة عند الأطفال من خلال كلماته البسيطة الراقصة بحيث يؤدونها مع ألعابهم فى مدارسهم وبيوتهم وفى منتزهاتهم ، كإنما استرفد الشاعر هنا الأغانى الشعبية المصاحبة لألعابهم من مثل أغنية « فتحى ياوردة » و« الثعلب فات » فطريقة الأداء فى اللعبتين واحدة (فيقف الأطفال فى دائرة ويمسك كل طفل يد أخر ويدورون بالدائرة ، دورات كاملة وهم يغنون)[3] .

(١) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ص ٣٣٥ .
(٢) السمير الصغير ، محمد الهراوى ، ص ٣٥ .
(٣) ألعاب الأطفال وأغانيها فى مصر ، محمد عمران ، ص ٣٨ - ٤٨ دار الفنى العربى لبنان ١٩٨٣ م .

يقول مطلع الأغنية الشعبية الأولى :

فتحي ياوردة

اقفلى ياوردة

هنا وردة .. ويقول مطلع الأغنية الشعبية الثانية :

التعلب فات

وفى ديله

سبع لفات .. وهكذا .

ان قول الهراوى : دار الصف .. لفوا ، لفوا ، فى مطلع أغنية الحلقة الدوارة يكشف مع عنوانها مقصد الشاعر من توظيفه لكمات موقعة ، منغمة تقوم على الترديد والصدى لحظة دوران الأطفال وهم متشابكو الأيادى ، تغمرهم الفرحة بالصحبة وينشطون للحركة عندما يتغنون بالوطن وبالأصحاب فى نظم عادى بسيط .

* * *

بين عامى ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ م نشر الهراوى أربع أغنيات فى كل جزء من الأجزاء الأربعة التى صدرت من دواوين أغانى الأطفال ذيل الشاعر غلاف الديوان بقوله : أغانى الأطفال « على النغمات المشتركة بين الأمم ، وبذلك فطن الشاعر إلى قاسم مشترك يجمع أطفال حول الغناء التوقيعى على العلامات الموسيقية ، وهى خاصية تنظيم سائر الأطفال ، فالأطفال ميالون بفطرتهم إلى الإيقاع الحركى والموسيقى واللغوى ، لذا فقد أصدر الهراوى كل كتيب من أغانى الأطفال على هيئة الأغنية (النص الشعرى) والعلامة الموسيقية المصاحبة لها (النوتة الموسيقى) بالإضافة إلى تشويق الأطفال ببعض الصور (الفوتوغرافية التى انتخبها الشاعر بذوق عال ، ويبدو أن الهراوى استمر قرابة العام (١٩٢٧ م) كى يعد « أغانى الأطفال » فوقف عند العناوين العلامات الموسيقية والصور ومراجعة النصوص الغنائية الشعرية (لاحظ خط يد المؤلف فى المسودات بملاحق أطروحتنا للدكتوراه) .

اشتمل ديوان أغانى الأطفال على ستة عشرة أغنية من مثل (تحية اللقاء -

شمس الضحى - بائع الفطير - ليلة القمر - جحا والأطفال) وسنخص أقصر تلك الأغانى وأطولها بكلمة . يقول الشاعر فى أغنية هادفة تحت عنوان تحية اللقاء :

هــل تعلمــون تحيتى عنــد الحضــور اليكم
أنــا إن رأيت جماعــة قلت الســلام عليكم[1]

فى بساطة مدهشة ولغة فصحى سليمة غرس الشاعر فى نفوس الأطفال بمقطوعته القصيرة قيمة سلوكية حميدة ، وهى التحية فى الإسلام ، يكتسبها الطفل فى لون تعليمى يألفونه وهم يتغنون به على إيقاع الكلمات الرقيقة وألحانها الرشيقة ربما يسخر البعض فيسم مثل هذا النظم بالسطحية والتقريرية الفجة ، لكنه على أية حال نظم تعليمى يحتاجه الأطفال ، ومضمون هذا النظم ينمو مع الطفل إلى أن يشب ويكبر ، وقد تأصل فى وجدانه وفى سلوكياته معنى مغزى التحية فى الإسلام ، وقد أليس هذا المفهوم هو البديل السديد عن الاستعمالات المنوعة للتحية بين الأفراد سواء صاغها البشر بأنفسهم أو استرفدوها من بيئة أجنبية داخل البيئة العربية والاسلامية ؟!..

أما النموذج الثانى من الأغانى التوقيعية الذى نشير إليه من شعر الهراوى فهو نموذج فكاهى لأغنية توقيعية تقوم على الحوار بين الشخصية الفكاهية المعروفة (جحا) وبين الأطفال .

وفى ديوان « الطفل الجديد » للهراوى استقل الشاعر بنظم غير مسبوق بين معاصريه وهو المنظومات التعليمية للأطفال ، لقد أوضحنا فى كتاب سابق* أهمية الشعر التعليمى ووجوده فى تراثنا الأدبى فلقد (سبق العرب إلى هذا المجال حينما كانوا يصوغون المسائل اللغوية والطبية والفلسفية فى منظومات يسهل حفظها وتفسيرها وتثبت فى الذهن . ويحاول الهراوى فى هذا اللون التعليمى أن يفعل شيئا مشابها ولكن بصورة بسيطة عصرية ويقدمها للطفل فى أولى خطواته فى مجال التعليم بعد أن يربط معانيه بعالم الطفل الصغير[2] .

---

(١) أغانى الأطفال ، أغنية تحية اللقاء ، محمد الهراوى ، جـ ١ دار الكتب ١٩٢٨ م .

(*) انظر : كتابنا : أدب الطفولة أصوله .. مفاهيمه ، العربية للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩٠ م .

(٢) محمد الهراوى شاعر الأطفال ، تحقيق ودراسة أحمد سويلم ، ص ١٧٧ .

والأمثلة الآنفة التى عرضناها تفتقد إلى روح الشعر ، لكنها على أية حال وسيلة ذلك العصر لإكتساب الطفل لغته وتعلم مبادىء القراءة والحساب ، فهى تمثل الجيل الذى عاصره الهراوى بالنسبة لوظيفة هذا اللون التعليمى فى المدرسة وخارجها ، قبل ظهور الوسائل التعليمية من نتاج المخترعات والمطبعة ووسائل الأتصال إلى أخر تقنيات المعامل اللغوية وتقنيات الحواسب الآلية .

بقى عند الهراوى فى هذا الجانب التعليمى اضاءة هامة يجب الإشارة إليها وهى اللغز التعليمى الهادف وقد عرضه فى نموذجين هما : « أمثلة للتكملة » و« حروف واحدة بعده كلمات » يقول فى اللغز الأول :

الفار :	دال - الف - راء : دار
	غاب القط لعب : ؟
وز	راء - زاى : زر - رز
	وز - بط بط ... ؟
الوطن	حاء - سين . نون : حسن
	سلم الوطن يحيا : .. ؟

ويقول فى اللغز الثانى حروف واحدة بعدة كلمات أ . ح . د . م

أربعـة من أحـرف فى كـلمـات أربعـة
تقـرؤهـا فى « أحمـد » و« حـامـد » منـوعـه
تبصـرها فى « مـادح » و« أمـدح » الخير معـه
فـإن تكن عـرفتهـا فـانـطق بهـا مـوزعـه

وكنا نتمنى لو توسع الهراوى فى هذا الجانب من اللغز الأدبى المنظوم الذى يحرك ذهن الطفل وينمو معه خياله ، فعن طريق اللغز يكتسب الطفل أيضا كلمات جديدة ، وتتاح له الفرصة لأعمال العقل وخفر الخيال للإدراك بالإضافة إلى القدرة على التفكير المنظم ، لكن الهراوى على أية حال فتح الطريق لإمكانية التوسع فى ذلكم الغرض الذى يهمله رجال الأدب ، ويزعم المؤلف أن الطفل يفيد من اللغز الأدبى المنظوم أضعاف ما يكتسبه من الألغاز الأجنبية الوافدة بقيمها وآفاقها .

نظم الهراوى للأطفال أيضا منظومات تعليمية متنوعة هى : (١) أول حروف الهجاء . (٢) الحساب . (٣) من (ألف إلى الياء - أمثلة للحروف) (٤) الحروف المجردة من النقط (٥) الحروف النقطة . (٦) حروف على ألسنة الحيوانات (٧) الحروف على ألسنة الطفل (٨) الحروف فى الأسرة (٩) أمثلة للتكملة (١٠) الحروف واحدة بعدة كلمات (١١) الحروف فى قصيدة (١٢) أنواع الحروف . وبامكاننا انتخاب عدة نماذج من الشعر التعليمى عند الهراوى من مثل منظومته :

أول حروف الهجاء : (أ ب) :

أبى إمتحنى يا أبى فى أحرف الهجاء
فإننى أعرفها من ألف لياء
وأنت فى أولها من ألف وباء[1]

ومنظومته (الحساب) ومنها قوله الهراوى :

لى فى الحساب عدد يجرى به لسانى
به أجيب سائلى فى يوم الإمتحان
أما أنا فواحد فرد من الإنسان
وأثنان : أمى وأبى طفل ووالدان[2]

ومنظومته (ألسنة الحيوانات) منها قوله :

الكلب يتهجى : هو . هو
كلبى الصغير الجرو كلب لطيف حلو
أقول هاء واو يقول هو . هو . هو[3]

أما منظومة الشاعر « الحروف على لسان الطفل » فيقول فيها :

الرضيع يناجى ماما

(١ ، ٢) الطفل الجديد . محمد الهراوى ، ص ٢٣ .
(٣) ألف - باء أمثلة للحروف ، محمد الهراوى ، ص ٢٩ - ٣٠ .

قال الرضيع ماما ولم يجز فطاما
كأنه تهجى وما درى الكلاما

الطفل يفصح : بابا

الطفل قال بابا فنطق الصوابا
قد عرف التهجى وما رأى الكتابا[1]

وحظى الشعر الدينى الذى نظمه الهراوى للأطفال بديوان مستقل أصدره فى أخريات حياته ، يتصدره أهداء للملك فاروق الأول فى بداية حكمه فى مصر ، وهو ديوان غير مسبوق فى توجهاته الدينية (للأطفال) فى الشعر العربى ، لأن الشاعر قدم للأطفال قصص الأنبياء والرسل من عهد أدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ فى ديوان من الشعر المستجاد للأطفال على هيئة محفوظات أسماه « أنباء الرسل » وقد استرفد الشاعر عنوان ديوانه من الآية القرآنية الكريمة ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ .

فى منظومة الاهداء يقول الشاعر محمد الهراوى :

أهدى قصائد شعر ذوات عطر ذكى
ضمنت كل قصيد تاريخ كل نبى
وقد قبست المعانى من الكتاب العلى[2]

لم يفت الشاعر أن يمهد لقصص المرسلين بمنظومة البداية « الله » والتى استطاع الشاعر من خلالها أن يقص على الأطفال قصة خلق الكون فى أوجز عبارة وأتم معلومة ثم يبدأ فى سرد منظومة قصيرة عن كل نبى (لكنه يضع بين ثناياها بعض العناوين ، مما يجعل الأبيات قليلة ، قصيرة ، يسيرة يسهل على الطفل مطالعتها بل وحفظها ... وهو يكتفى بالحدث أو الأحداث الرئيسية فى حياة كل نبى ولا يدخل فى تفاصيل قد يتوه بينها الصغير ، كما أنه ينطلق مباشرة إلى هدفه متخذا أقصر الطرق[3] .

---

(١) ألف - باء أمثلة للحروف ، محمد الهراوى ، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢) ديوان أنباء الرسل ، محمد الهراوى ، ص ٣ ، ١٧ مطبعة سعد مصر د . ت .
(٣) دىوان الهراوى للأطفال ، عبد التواب يوسف ، المقدمة .

وقد تناول الهراوى فى أنباء الرسل قصص الأنبياء والرسل (أدم - نوح - ابراهيم - سليمان - يوسف - موسى - عيسى - عليهم السلام - ومحمد ﷺ) .

كما تناول الشاعر أيضا قصة هابيل وقابيل فى إطار عرضه لقصة أدم وحواء وكذلك قصة أهل الكهف ، وها نحن نعرض مختارات من شعر الهراوى الدينى للأطفال :

يقول الشاعر فى قصة سيدنا إبراهيم عن بناء الكعبة :

مضى إبـراهيم منتقـلا تنقـل صاحب النجـع
وحط الـرحل فى واد بـلا زرع ولا ضـرع
وفى أرض مـبـاركـة وصقيع جل من صنـع
بـنى بيتـا دعـائمـه وقاها الله من صدع[1]

ومنه أيضا هذا النظم السهل الذى يسترفد القصة القرآنية فى نجاة سيدنا نوح ومن معه فى السفينة :

وسـار نـوح ونـجـا من كان فى الفلك دعى
وقيـل يا أرض أبلعى ويـا سـماء أقـلعـى[2]

ويصور الشاعر حديث النملة فى قصة سيدنا سليمان :

ومـر فى جنـد لـه حـاملة الحـراب
فسمع النملة تبدى الـ نـصـح لـلأتـراب
تقـول هيـا لـلحمـى من داخـل الأبـواب
لا يحـطمنكم سليـ ـمـان على التـراب
فقـال وهـو ضـاحـك والـنمـل فى إضـراب
أحمـده سـبـحـانـه مـن مـنـعـم وهـاب[3]

---

(١) ديوان أنباء الرسل ، ص ١٩ .
(٢) أنباء الرسل ، محمد الهراوى ، ص ١٥ ، ط ١ سعد مصر د . ت .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢ .

ظواهر فنية وأسلوبية فى شعر الطفولة عند الهراوى

أولا : ظاهرة التنوع فى الأغراض :

يمثل التنوع فى شعر الأطفال عند الهراوى ظاهرة فنية فريدة وغير مسبوقة فى ديوان الطفل العربى وفى العصر الحديث فى مصر .. ونعنى بالتنوع هنا ، تنوع الأغراض التى تناولها الشاعر مما يدل على إبتكار وتجديد وحسن إحاطة بعالم الطفولة بمراحلها المتتالية ، وقد توزع هذا التنوع فى شعر الهراوى للأطفال إلى :

(١) **الشعر الدينى** : ويمثله عند الشاعر قصص الأنبياء والرسل والقصائد الدينية من مثل قصيدة (الله) و(معرفة الله تعالى) و(قصة أهل الكهف) وجميع منظومات ديوان (أبناء الرسل) .

(٢) **الشعر الوصفى** : وهو الجانب الذى استقل بأغلب منظومات الشاعر فى وصف الطبيعة ، والمخترعات ، والفنون ، والأشياء المحيطة بالطفل من مثل منظومات : شم النسيم ، الأزهار والطفل ، وصف بستان ، وصف المحمل ، وصف الهر ، وصف الترام ، والباخرة ، والدارجة ، والآلة الكاتبة وغيرها .

(٣) **الشعر التعليمى** : (التربوى) : وتمثله منظوماته من الأدب التعليمى من مثل الكتاب ، المدرسة ، والحروف فى قصيدة ، والحروف على ألسنة الحيوانات ، والحروف من ألف إلى ياء وحروف الهجاء والحساب وغيرها .

(٤) **القصة الشعرية** : على لسان الحيوان : تمثله مقطوعات متنوعة أبرزها ما ألفه الشاعر ابتداء من مثل : « حيلة » و« العطف الأخوى » و « الكلب والحصان » .

(٥) **الشعر الوطنى** : خص الشاعر مصر الوطن ، بالأغنية والنشيد والقصيدة : كالوطن والعلم والنيل والأهرام ، والآثار وغيرها .

(٦) **الشعر الأخلاقى** (آداب وسلوك) : وتمثله منظومات الشاعر عن سلوكيات الأطفال فى الحياة من مثل أخلاق فاطمة ، الكمال فى السوق ، وآداب

الفتاة فى الطريق ، والهدية ، والأمان ، والمقطوعة القصيرة « قلبى للجميع » والتى يقول الشاعر فيها :

لا تظنونى صغيرا ليس قلبى بالصغير
يسع الناس ودادا من صغير وكبير

(٧) **الشعر الاجتماعى والأسرى** : تمثله مقطوعات متنوعة عن مؤسسات المجتمع « كالمحكمة وبنك مصر » ، وعن « الوالدين : الأب - الأم - الفتى - الفتاة » وعن الأعياد الاجتماعية عيد الأم والعام الجديد وغيرها .

(٩) **أغانى الألعاب** : من مثل أنشودة كرة القدم ، لعبة الغمامة ، الحلقة الدوارة .

(١٠) **الأغانى التوقيعية** : خص الشاعر رياض الأطفال بمنظومات توقيعية كأغانى ألعابهم من مثل أغنية : جحا والأطفال بائع الفطير ، ليلة قمر ، شمس الضحى .

ثانيا : غزارة النتاج الشعرى للأطفال :

أودع الشاعر محمد الهراوى مكتبة الأطفال أغزر وأهم نتاج - إلى وقتنا الحاضر - من حيث الكم وربما (الكيف) فقد استقل بنظم سهل لشعر الطفولة المبكرة فطبعت دواوينه لمراحل الطفولة المختلفة - غير مرة فى حياته وهى على ترتيب أصدارها : السمير الصغير - **سمير الأطفال (بنين) ٣ أجزاء** ، سمير **الأطفال** (بنات) ٣ أجزاء الطفل الجديد ، أما الروايات التمثيلية الغنائية فليست محل دراستنا هنا ، وفى أخريات حياته طبع عام ١٩٣٧ م (ديوان ألف باء) على مطبعة المعارف واتبعه بديوان أنباء الرسل للأطفال د . ت بالاضافة إلى مخطوطات أشار إليها محقق نتاجه الشاعر أحمد سويلم* .

(*) انظر أيضًا : كتابنا : أدب الطفولة (أصوله ... مفاهيمه) العربية للطبع والتوزيع القاهرة ١٩٩٠ م (ط ١) ، ط ٢ د . ت .

ثالثا : ثبات لغة الأداء الشعرى :

اتسم الأداء الشعرى عند الهراوى بالثبات ، فلم ينزل إلى درك من الاسفاف اللغوى أو الاستعمال الشعبى باللغة الدارجة في سائر منظوماته ، ولم يصعد الهراوى كذلك إلى علياء اللغة ، فلغة الشاعر فصحى مبسطة ، سلسلة سليمة ، تقف فى منطقة وسطى بين لغة أحمد شوقى للأطفال ولغة محمد عثمان جلال فى العيون اليواقظ ، ونادرا مالجأ الشاعر إلى شرح بعض المفردات الصعبة بهامش منظوماته وأناشيده وأغانيه ، وكثيرا ما لجأ إلى التكرار اللغوى بغرض الافهام والابانة وزيادة المحصول اللغوى عند الطفل .

رابعا : بث واعلاء قيم الحضارة العربية والاسلامية :

فى غير تعقيد استهدف الشاعر بث القيم العربية الاسلامية الموروثة إلى نفوس الصغار ، فلم يسترفد التراث الأجنبى أو الأدب الغربى الحديث إلا فى باب القصة الشعرية مرات محدودة ، ومن أهم القيم التى أكد عليها الشاعر فى دواوينه قيم : العقيدة ، الوطنية ، العلم ، النظام ، الإيمان ، الحب ، الانتماء ، الطاعة ، وغيرها من القيم الإيجابية التى تتمحور حول رؤية الشاعر الأخلاقية والدينية والوطنية ، (لاحظ أسلوب الشاعر فى تصدير دواوينه بالايات والشواهد القرآنية) .

خامسا : وعى الشاعر المبكر بفلسفة أدبيات الطفل :

أن مجرد طبع ديوان الصغير على هيئة كتيب صغير فى حجم الكف بحيث تلازم كل أغنية أو منظومة صورة ملونة - يومئذ - لأمر يؤكد وعى الشاعر بفلسفة أدب الطفل فى مراحل نموه المبكرة : فالطفل يتذوق المحسوس حتى ينتقل إلى التجريد (بالكلمة والصورة) .

هذا من ناحية ، كما يعد تناول الشاعر لموضوعات جديدة ، قد يصفها الكبار بالسذاجة والسطحية ، لكنها تهم الصغار بالدرجة الأولى مثل موضوعات مناسباتهم وأعيادهم وألعابهم ، وكذلك وصف الشاعر للأشياء المحيطة بهم من طبيعة

ومخترعات وآليات ونحوها - يعد - من الأمور المعرفية التى تلازم النمو المعرفى للطفل . لذلك لم يلجأ الشاعر إلى استرفاد الأمثال المباشرة بل جعل المنظومات تنطق بالحكمة على لسان الشاعر أو لسان الأطفال أو ألسنة لحيوانات وهى أيضا من إضافات الشاعر فى شعر الأطفال .

سادسا : استخدام الشاعر للبحور القصيرة المجزوءة :

لم يستخدم الشاعر قوالب البحور التامة أو الكاملة إلا فى سمير الأطفال (جـ ٣) ووقفت سائر منظومات القصيرة وأغانيه التوقيعية عند مجزوءات بحور الشعر العربى ، مما يدل على خبرة الشاعر الجمالية ووعيه الفنى لوظيفة الإيقاع اللغوى الموسيقى عند الطفل ، ونلاحظ فى هذا المجال - إضافة الشاعر للعلامات الموسيقية فى بعض أناشيده وأغانيه لرياض الأطفال .

سابعا : تغليب النظم العادى على ازدواج القافية :

لجأ الشاعر إلى ازدواج القافية فى البيت الواحد عندما كان يخاطب جمهور الأطفال الصغار (طفولة مبكرة ووسطى) فى النشيد أو الأغنية التوقيعية أو الاغنية الوصفية القصيرة ، وغالبا ما لجأ الشاعر إلى استعمال النظم التقليدى العادى فى قصائدة ومقطوعاته :

ثامنا : ندرة التفاوت بين القصر والطول فى قصائد الشاعر :

الأطفال ميالون بطبعهم إلى الإيقاع المنغوم ، ولكى يحدث التركيز المطلوب لجأ الشاعر إلى نظم المقطوعات القصيرة (فى أبياتها وكلماتها وأوزانها) وهى علامة دالة عرف بها أغلب شعر الهراوى للأطفال غير أن الهراوى لجأ إلى نظم بعض المقطوعات الطويلة فى أبياتها وتفعيلاتها مما يصيب الأطفال بالشتات وعدم التركيز من مثل : (النشيد الوطنى المصرى) وآيات العلم ، وبين جد وحفيدته ، وغيرها من القصائد التى تتوزع دواوينه وخاصة ديوان « أنباء الرسل » .

تاسعا : قصدية الشاعر من شعر الأطفال :

عندما استقل الشاعر بهذا اللون المستحدث فى الشعر العربى الحديث ، كان يقصد إلى عدة أشياء أوضحها فى صدر كراساته الشعرية بالتذييل التالى : شعر سهل بالصور للانشاء والأملاء والمطالعة والحفظ ، وجميعها تشكل العناصر الوظيفية الأساسية فى أدب الطفل (اللغوية والتربوية والجمالية والأخلاقية) وليس من شك أن شعر الهراوى للأطفال فى معظمه - يقرأ ويسمع على درجة واحدة بسبب بساطته المدهشة وجماليات مضامينه المتنوعة بحيث حقق المعادل الموضوعى لاختفاء الصورة الشعرية الفنية فى منظوماته للأطفال ويبقى شعره علامة بارزة فى صورة المحدودة وغايته المقصودة ، ولغته السلسة ، وأغراضه المتعددة ، لذلك كله يعد الشاعر محمد الهراوى رائد فنية وزمنية مرحلة وهى مرحلة الريادة والتنوع فى الشعر للأطفال فى الأدب العربى الحديث فى مصر ، مثلما فتح الأبواب الموصدة أمام المبدعين تجاه الطفل وأدبه فى أقطار العالم العربى والإسلامى .

* * *

الباب الثالث

كامل كيلانى
رائد أدب الطفولة
فى القرن العشرين



كامل كيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) :

ولد « كامل » كيلانى إبراهيم كيلانى فى العشرين من أكتوبر سنة ١٨٩٧ م بحى القلعة بمدينة القاهرة لأب يعمل مهندسًا مرموقًا ، وعندما حفظ القرآن الكريم صبيًا فى مكتب قريب من منزله يطل على جبل المقطم ، التحق فى عام ١٩٠٧ م بمدرسة أم عباس الأولية ، وتعلق فى تلك الفترة بحفظ الشعر ، وعندما نال شهادة « البكالوريا » من مدرسة القاهرة الثانوية عكف على دراسة الإنجليزية والفرنسية ثم انتسب إلى الجماعة المصرية القديمة فى عام ١٩١٧ م ، ومع ذلك ظل يختلف إلى دروس الأزهر للتزود بعلوم اللغة والمنطق والأدب ، وكان أشهر شيوخه الشيخ السيد سيد محمد على المرصفى ، والشيخ السحرتى .

وفى مطلع شبابه اشتغل بتدريس الإنجليزية والترجمة بالمدرسة التحضيرية بالقاهرة ، وفى عام ١٩٢٠ م ، عمل بالتدريس فى مدرسة الأقباط الثانوية بدمنهور عاصمة مديرية البحيرة . وفى عام ١٩٢٢ م عاد إلى القاهرة ليلتحق بوظيفة دائمة بوزارة الأوقاف ، واستمر طيلة حياته الوظيفية بها إلى خروجه بالمعاش فى يناير عام ١٩٥٤ ، إن آخر منصب تولاه بالوزارة هو سكرتير مجلس الأوقاف الأعلى وعندما استقر فى القاهرة بدأ نشاطه الصحافى والأدبى ، فعمل رئيسا لتحرير جريدة (الرجاء) عام ١٩٢٢ ، وفى عام ١٩٢٧ أطلق كامل كيلانى الشرارة الأولى فى ميدان التأليف القصصى للأطفال العرب عندما أصدر قصته الشهيرة « السندباد البحرى » وفى عام ١٩٢٢ م ، انضم لرابطة الأدب الحديث ولنشاطه الأدبى الملحوظ ، عمل سكرتيرًا عاما لها من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٢ م . وفى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٩ م ، توفى كامل كيلانى بعد حياة أدبية حافلة بنتاجه المميز للأطفال ، وأدبه المكتوب فى عالم الكبار .

كانت تأثيرات النشأة الأولى ، واضحة المعالم ، فى ريادة كامل كيلانى لأدب الطفولة ، أبرزها تأثره العميق بما سمعه من القصص الشعبى العربى ، وأساطير اليونان ، لقد تضافرت مجموعة من العوامل التى أسهمت بفعالية فى بناء شخصية

هذا المؤلف الرائد ، فلم يكتف بالكتاب وإنما أفاد ممن حوله سواء فى بيئته الأسرية أو البيئة بمعناها العام ، يقول عن نفسه :

(.. كان لى خال ، اسمه سعد اسماعيل) ، وكان رجلا مكفوف البصر وقد كلفه والدى - حيث لا عمل له - تربيتى ، وكان خالى هذا بحرًا فياضًا زاخرًا بالقصص ، فكان يقص على مسامعى ما عنده من قصص أثناء الليل ، مما جعلنى أحب القصص ومطالعتها ، وحفظ الأشعار ، وكان لى حوذى ، نصف أمى ونصف فيلسوف ، وكان حافظا للقرآن الكريم ، ولكثير من الأحاديث النبوية كما كان حافظا لكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات وكان والدى ينصرف إلى عمله ، ويترك الحوذى يقص على ، أو يطالع لى ، وقد سمعت منه قصصه « سيف بن ذى يزن » فأثرت فى نفسى كثيرًا)[1] .

وإذا أضفنا إلى ذلك تأثره بالأسطورة اليونانية التى كانت تحكيها له مربيته « اليونانية » ألفينا كيف تهيأ لكامل كيلانى من العوامل الفعالة ما حقق له الريادة والنبوغ فى مجاله من بعد ، يقول فى ذلك أيضا : (... وتوليت المرأة اليونانية تربيتى وكانت نياتها على ثقافة واسعة وأول ما سمعته منها : هو أساطير « اليونان » ... وكان هنالك شاعر شعبى من شعراء (الربابة) اسمه (عبده الشاعر) وكان ينشد على ربابته أقاصيص البطولة ، فكنت أذهب للاستماع إليه كل ليلة فى ميدان القلعة فى سوق العصر فسماعى لقصص العرب ، وأساطير اليونان وحوادث الأبطال من شاعر الربابة ، وامتلاء أذنى منذ الصغر بكل هذا مما كان له تأثير فى اتجاهى للقصة)[2] .

وعندما شب عن الطوق ، تنوعت مصادر ثقافته أثناء دراسته الثانوية وعندما انتسب للجامعة المصرية القديمة ، قرأ الأدب العربى القديم ، واهتم بدراسة اللغات الأجنبية ، وحرص على الافادة من حلقات الأزهر ، خاصة دروس الشيخ السحرتى والشيخ سيد المرصفى ، وممن تأثر بهم فى تكوين ملكته الأدبية الشيخ

(١ - ٢) كامل كيلانى الرائد العربى لأدب الأطفال ، عبد الغنى البدوى ص ١٨ ، سلسله مذاهب وشخصات ، ط الذار الفومية للطباعة والنشر ١٩٦٣ .

مصطفى حلبى الشامى ، وعن تلك الفترة الزمنية يذكر :[1] (... وكان لوالدى مكتبه حاشده ... فحشد عليها ، وأفدت منها كثيرًا ، ولقد كنت أحفظ وأنا تلميذ عشرين ألف بيت من الشعر وكنت أنتهز فرصة العطلة الصيفية لأحضر فى الأزهر الشريف مستمعًا ومحصلاً ومن أساتذتى فيه الشيخ السحرتى والشيخ سيد المرصفى كما كنت حريصا على ندوات الأدب والشعر والعلم ، وأذكر من بينها ندوة الشيخ مصطفى الحلبى الشامى الحلوانى التى كنت أحضرها مع زملى الاستاذ سيد إبراهيم* وفى هذه الندوة عرفت المعلقات) .

بدأ الكيلانى حياته فى مجال التأليف بالكتابه للكبار ثم توجه بعد ذلك للطفولة يكتب إليها قصصه وأشعاره فألفينا كبار الأدباء من معاصريه أمثال أحمد شوقى وخليل مطران ود . أحمد زكى أبو شادى ، وغيرهم ينظرون إلى أدب الطفل الذى راده الكيلانى فى غزارة وتنوع وأصالة - نظرة تقدير وعرفان يقول خليل مطران : (... وقد ترى كلامه السهل الممتنع ، فلا تتبين - على الفور - قدر ما بذله من الجهد فيه ... وبدأ لك من تجديده تلك القصص على نحو خاص ما جمع فيه : من الفصاحة فى المبانى إلى البلاغة فى المعانى ، ومن الجزالة فى الشعر إلى السهولة فى النثر : بدأ لك - بجملته وتفصيله - صنيع هذا الرجل فى أروع صورة تجلو فطنته المبدعة ، وكفاياته المتنوعة ...)[2] .

ويخاطب الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى صديقه الكيلانى فيقول شعرًا .

قل يا أرق الكاتبين فأنت من ... بلغت بكل طريفة مشغولا
صور لنا الماضى تزداد أعماره ... عمرًا وتشعرنا الحياة الأولى
شأن الأديب الألمعى بيانه ... يغدو الجمال بروحه مأمولا[3]

---

(١) المرجع السابق نفسه .
(*) الأستاذ بكلية دار العلوم رائد مدرسة الخط العربى الحديث فى مصر سابقًا .
(٢) كامل كيلانى فى مرآة التاريخ ، لمجموعة من المؤلفين ، مقال عنوانه استجاب لحاجات عصره ، خليل مطران ، ص ٣٩٣ ، ط ١٩٦٢ م .
(٣) المرجع السابق ، قصيدة : يا أرق الكاتبين للدكتور أحمد زكى أبو شادى ص ٦٨١ .

ومن شعر أحمد شوقى فى إطراء مكتبة الأطفال التى ألفها الكيلانى فى قوله :

يا « كامل » الفضل قد أنشأت مكتبة يسير فى هديها شيب وأطفال
جمال طبعك حلاها وزينها فأصبحت بجمال الطبع - تختال[1]

كامل الكيلانى وشعر الأطفال :

إن إلقاء الضياء حول « شاعرية » كامل كيلانى من الجوانب التى لم يلتفت إليها العديد من الدارسين المحدثين ، برغم نبوغ الشاعر فى هذا المجال . ربما ألم بهذه الشخصية الشاعرة جماعة من معاصريه وبخاصة رجال جماعة « أبوللو » وبعض المحيطين به ، لكن هذا الألمام وقف عند معرفة هؤلاء وأولئك بقدرة كامل كيلانى على إتقان قرض الشعر والنظم فى أغراضه للكبار .

أما الجانب الذى نقصده فى « شاعرية » كامل كيلانى هو توفره على الكتابه الشعرية للأطفال ، من خلال استعراضنا لنماذج شعرية كتبها للطفولة فى أصالة واقتدار ، ربما نجد فى اشعاره للطفولة ما يحقق ما ذكرناه . حقا لم يترك الكلانى للمكتبة العربية ديوانا للطفل يشتمل على أشعاره بمثل ما ترك مئات القصص والحكايات المطبوعة والمخطوطة فى الأدب القصصى ، وهما نحن ننتخب من شعره للطفولة عدة « منظومات » كان قد أثبتها فى نتاجه القصصى تحت عنوان « محفوظات » أو أوردها قصدًا داخل السياق القصصى ، بهدف تلخيص أحداث قصصه ، على أن « كاملًا » لم يكتب مقطوعاته الشعرية للأطفال ليستعرض قدرته فى النظم أو ليؤكد بها شاعريته وأنما وظف مقطوعاته ليسد حاجة الطفل العربى ويحببه فى لغته ويتدرج به تبعًا لعمره ، يغذى ميوله وطموحه ، وينمى قدراته وملكاته مثلما سار مع الطفل فى فن الحكايات القصصية ، وإذا كانت قصص كامل كيلانى قد امتازت بالأصالة والتنوع فى التأليف وفى تناول الموضوعات الدينية والوطنية والاجتماعية والعلمية والخلقية والخيالية فإن مقطوعاته الشعرية للأطفال قد امتازت هى الأخرى بالأصالة والتنوع إذ تتنوع أغراضه الشعرية وتكاد تخبو فى

(١) السابق ، الأبيات لأحمد شوقى تحت عنوان « يا كامل الفضل » ص ٦٧٩ .

مقطوعاته أضواء الاقتباس من الحكايات الشعرية الخرافية الأجنبية ، كما وقفت موضوعات أشعاره عند الواقع أو البيئة المحيطة بالطفل .

يقول الكيلانى فى معنى الوطنية من نشيد له للأطفال تحت عنوان « نشيد مصر » :

سماؤك يا « مصر » صفى سماء ... وأرضك أرض الغنى والرخاء
ونيلك يا « مصر جم العطاء ... فمنه الغذاء ومنه الكساء
على ضفتيه نما مجدنا ... ومنه عرفنا فنون الوفاء
يفيض علينا بخيراته ... فيسقى الغراس ويروى الظماء
وتسرى الحياة فيزكو النبات ... ويحيا الموات ويحيا الرجاء
أغر الغوالى ، حياتب ومالى ... وأهلى جميعا : لـ « مصر » الفداء
سماؤك يا « مصر » يحمى البلاد ... ويفدى اللواء بغالى الدماد
بلادى بلادى ملاذ الأمان ... وحصن السلام ورمز الرخاء
وملهمة المصلحين الهداة ... معانى العلى والندى والإباء
منار العلوم ومهد الفنون ... شاع أنار ونجم أضاء
أعز الغوالى ، حياتى ومالى . وأهلى جميعا : لـ « مصر » الفداء[1]

أول ما يطالنا عند استقراء النص السابق هو ملاحظة الحاح الشاعر فى بساطة نحو تعميق الانتماء للوطن والفخر برجاله والانتساب إليه والتضحية من أجله ، كما نجح الشاعر فى ربط الأطفال بالوطن بعد رحلتهم فى كتابه للأطفال المرسوم : « قصص جغرافية وأساطير أفريقية » فأودع مقطوعته فى خاتمة هذا الكتاب كما نظمها الكيلانى من بحر (المتقارب) لتناسب إيقاعه الحماسى القصير من ناحية ، كما مكنه من استخدامه للمفردات التى تقوم الايقاع الموسيقى المتكرر على وزن « فعولن فعولن فعول » من ناحية أخرى ، ونجح الشاعر أيضا فى استعمال المفردات الشائعة والمألوفة بما تحمله من معان ودلالات حول الوطن وأهله مثل : « يا مصر » ، (أرضك - أرض » ، « سماؤك » ، « نيلك » ، « شعبك » ،

(١) قصص جغرافية وأساطير أفريقيه ، جـ ٢ . محفوظات (نشيد مصر) كامل كيلانى ط القاهرة ١٩٤٠ م .

« بلادى » ، « أهلى » وغيرهما . كما عمق الشاعر مفهوم « النيل » لدى الأطفال ، وأثر النهر فى الحياة والأحياء على ضفتيه . على أن « كامل » وقع فى تعقيد لغوى من مثل قوله : « فيزكو النبات » و« أعز الغوالى » فلفظة يزكو صعبة على أفهام الناشئين ، كما أن لفظة « الغوالى » قد لا يستوعبها الأطفال لأنها غير مألوفة الاستعمال ، ومع ذلك فللشاعر مزية فنية فى استخدام القاموس اللغوى الملائم للطفل ، عندما يلح - غير مر - بتكرار المترادفات بهدف التيسير اللغوى كقوله : « فيسقى الغراس ويروى الظما » ويحيا الموات ويحيا الرجاء و« شعاع أنار ونجم أضاء » .

نموذج شعرى آخر أورده قصة (دندش العجيب) يقول فيه :

أيها الرفاق
أيها الأصحاب
لا تصدقوا
« دندش » الكذاب
غاق غاق غاق

....

أيها الأحباب أيها الرفاق
كل ثعلب طبعه النفاق
وثلاث من عالى الشجر
مرتفعات فوق النهر
فهنا شجرة ، وهنا شجرة
وهنا ثالثة الأشجار

هذا صياد :

هذا رجل أقبل يجرى
هذا صياد أقبل يصطاد
قل للأرنب أسرع وأجر
يدركه ؟ من ذا يدرى؟!

وسط الغابة نهرى يجرى
وثلاث من عالى الشجر
مرتفعات فوق النهر
فهنا شجرة ، وهنا شجرة
وهنا ثالثة الأشجار

نجاة الأرنب

سمع الأرنب عند الجسر
صوت رصاص فمضى يجرى
حظ نجاة من عند الله
نجى الأرنب طول العمر
وسط الغابة نهر يجرى
وثلاث من عالى الشجر
مرتفعات فوق النهر
فهذى شجرة ، وهنا شجرة
وهنا ثالثة الأشجار

وراء الشجر :

هرب الأرنب ومضى يجرى
خلف الأشجار بين الأزهار
أين سيذهب ؟ أنا لا أدرى ؟
أنا لا أدرى أنا لا أدرى

....

وسط الغابة نهر يجرى
وثلاث من عالى الشجر
مرتفعات فوق النهر
فهنا شجرة ، وهنا شجرة

وهـــنـــا ، ثـــالـــثـــة الأشـــجـــار[1]

والقصة الشعرية السابقة تخلو تمامًا من الصعوبة اللغوية ، فالألفاظ المستخدمة فصحى ميسرة دالة على المعانى التى يقصد إليها الشاعر ، والمفردات مألوفة وتقع فى دائرة الاستعمال الشائع بما يلائم مدارك الأطفال ، وقد استخدم الشاعر موهبته القصصية فى نسخ أحداث القصة الشعرية ، حيث استهل (قصة أرنب) بقوله :

اسمـــع منى .مـــا أحكيـــه أسمع قـولى فكـر فيـه

فهو ينبه الأطفال إلى البدء فى الحكاية أو بدء القص على عادته فى الأسلوب القصصى كى يتدبر الأطفال أحداث قصة الأرنب مع الصياد ، ثم يصف الشاعر الغابة والجسر والطقس ليمهد للأطفال كيف خرج الأرنب والصياد على هيئة محاورة وأهم ما يميز (قصة أرنب) جمال الوصف وبراعة الشاعر فى تبسيط المعجم الشعرى ونقل أماكن الأحداث أمام مخيلة الأطفال فى دقة وسهولة ، كما طرح الشاعر أمام الأطفال إمكانية أعمال الخيال وحسن التصرف فى المواقف الصعبة عندما نجم الأرنب بحسن الحيلة فى الهرب من الصياد ، وبالرغم من طول أبيات القصة الشعرية إلا أن قصة الجملة الشعرية الدالة ، وقدرة الشاعر على تتابع الأحداث وانسياب المفردات وعدم تعقيدها ، واستخدام البحر المتدارك - كلها عوامل - ساعدت على عدم الإحساس بالملل .

نموذج آخر من الشعرية كتبه الكيلانى للأطفال وهو أقدم نموذج شعرى قصصى نظمه للطفولة وأثبته فى الجزء الرابع من « حكايات الأطفال » وهى القصة الشعرية التى أثبتها فى حكايات الأطفال تحت عنوان (عنقود العنب) يقول فيها من شعر مزدوج القافية[2]

قصـــة عنقـــود العـنـب عجيبـــة من الـعجـب
وطـــرفـه من الـــطـرف وتحـفـــة من الـتـحـف
نـــادرة ظـــريـــفـــة شـــائـــقـــة لـــطـيـفـــة

(١) الأرنب والصياد ، كامل كيلانى ، قصة أرنب (محفوظات) ط ١٩٥٠ م .
(٢) حكايات الأطفال ، كامل الكيلانى ، عنقود العنب (محفوظات) جـ ٤ ص ٣٢ .

تـردع كـل خـائـن . هـم بـفـعـل شـائـن
وكـل مـا فيهـا عـبر لـعـاقـل إذا أعتـبر
أقـصـهـا عـلـيـكـم هـديـة إلـيـكـم
فـإنها مـثـال يحـفـظه الأطـفـال

....

قـد أقبلت « سميرة » واجمـة حـسـيـره
وفـكـرت مـليـا ثـم أعتلت كـرسيـا
وهـى تـروم العـنبـا مـا أستأذنت فيـه أبا
وانـدفعت فى جـرمهـا من غـير أذن أمهـا
وصممـت .. فـأقـدمت وأضـطربت ، فـأحجمت
وصـارت المسـكـيـنـة مـذعـورة حـزيـنـة
حـائـرة الـعـيـنـين مـرعـشـة الـيـديـن
تـرمقـه فتحـسبـه جمـراً تـلظى لهـبـه
فـهـى تخـاف مـنـه ولا تـطيـق لمـسـه
ثـم تـعـود حـائـرة لـلـبـبـغـاء نـاظـرة
تـسـألهـا النـصيحـة لـتـأمـين الفـضيحـة
فـقـالـت الـبـبـغـاء « أسـأت يـا حمقـاء »
وهـتـفـت مـفـزعـة وصـيـحـت مـروعـة
فى لهـجـة الحـزيـن الـنـاصـح الأمـين
واسـتـأنفت تـقـول : « ضلت بـك السبيل »
يـا سؤهـا من قصـة أن قيل عنك : لصـة
خـائـنـة الـعـهـود سـارقـة الـعـنـقـود
يـا قبحها من سيـرة تـذاع ، يـاسـمـيـرة
تـكـدر الاتـرابـا وتـزعـج الأصحـابـا
فـيـحـقـرون أصـلك ويـلعـنـون فـعـلك

....

فسارعي لأمك تائبة من جرمك
وراقبي الديانا والتمسي الغفرانا
وحاذري أن تقربي حبات هذا العنب
فإنها معره تشين كل حره .

....

فأدركت سميرة فعلتها الكبيرة
وأسرعت لأمها مقرة بجرمها
والتمست رضاها واستغفرت أباها
وأقبلت عليها فقبلت يديها
واعتذرت لأهلها ولم تعد لمثلها

منذ البداية يومىء الشاعر إلى قصته الشعرية (عنقود العنب) بانها قصة عجيبة وطريفة ومسلية تهدف إلى تقديم العبرة أو العظة (فإنها مثال يحفظه الأطفال) فهي إذاً كما قال فى الابيات السبعة الأولى منها من الأدب الوعظى الحكيم الموجه للطفولة ، ومهما يكن من شيء فإن عنقود العنب أقل طولا من قصته الشعرية (الأرنب والصياد) وقد استخدم الشاعر فى عنقود العنف بمجزوء الرجز فى شعر مزدوج القافية . وإذا كان الكيلانى قد وفق فى رسم أحداث وأماكن قصته الشعرية (الأرنب والصياد) فإنه فى عنقود العنب لم يوفق فى التمهيد أو الوصف لمسرح أحداث قصته ، إذا خاطب الأطفال فجأة على لسان « سميرة » يقول :

قد أقبلت سميرة واجمة حسيرة
وفكرت مليا ثم اعتلت كرسيا
وهي تروم العنبا ما استأذنت فيه ابا

ثم يمضي الشاعر بعد ذلك فى وصف تردد سميرة وهى تسرق العنقود دون استئذان ، والطفل هنا قد يصاب بتشتيت الخيال ، هل استخدمت سميرة الكرسى فى الحصول على العنقود من الحديثة أم من المنزل ؟ .. هل العنقود فى كرمة العنب أم بغرفة الطعام ؟! خاصة وجود مثل هذا الطائر عادة فى الحدائق . أما الوصف الدقيق لسميرة وهى تحاول الاقتراب من عنقود العنب ، فقد برع فيه الشاعر

وأجاد فى تصوير عالم الطفلة الداخلى والخارجي وهى موزعة بين الاقدام على العنقود والاحجام عنه ، كما نجح فى الكيلانى فى إعطاء النصيحة على لسان الطير عندما تحدث الببغاء إلى سميرة فى أبيات شعرية بلغت سبعة أبيات تصف جريمة السرقة وآثارها ، ثم أعقبتها الببغاء بأبيات أخرى مماثلة تحمل النصح والتوبة والغفران ، وفى خاتمة القصة الشعرية يصور الكيلانى الهدف من القصة فى أسلوب فنى برع فيه وهو الأسلوب القصصى عندما يتدخل كراوٍ ، وهو يصف شعرًا كيف أعتذرت سميرة لأمها عن سرقة العنقود فى توبة لله ووعد للوالدين بعدم أرتكاب مثل هذه الجريمة من بعد . وفى النهاية يمكن القول بأن (عنقود العنب) لا يعيبها فيها أرى سوى ضعف البداية القصصية التى أعقبت استهلال الشاعر وتمهيده لأحداثها إذ انتقل الشاعر مباشرة من الهدف الذى أعلنه بداية للقصة الشعرية إلى كيفية سرقة العنقود ، ومن هنات الشاعر كذلك إقحام هذه العبارة على لسان الببغاء :

راقبى الديانا والمرجح أن جمهور الطفولة لا يستوعيها بسهولة ، كما أورد الشاعر هذه العبارة فى خاتمة نصيحة الببغاء لسميرة بقوله :

فـأنها مـعـرة تـشـين كـل حـره

وأرى أن ضرورة القافية المزدوجة هى التى دفعت الشاعر لاستعمال هذا السطر الشعرى وكان بإمكانه الأستغناء عنه جميعاً . ها هو نموذج آخر من القصة الشعرية التى قدمها الكيلانى للطفولة تحت عنوان (الغراب الغادر) يقول فى شعر مزدوج القافية :

لقـد حدثتنـا أقـدم الأمثـال فيما مضى من الزمان الخالى
بقصـة تروى عن العصفـور أبصـر فى وكر من الـوكور
فرخ غراب مشرفًا على التلف فقال للفرخ : « أطمئن لا تخف »
وأدفـأ الفـرخ ، وداوه ، ولم يزل به حتى شفاه من ألم
وصـار عنده العـزيـز الغـالى وأكـرم الأبـنـاء والـعـيـال
حتى إذا الفرخ غدا غـرابا لم ير - غير قتله - توابا !

وأهلك الغـــراب مـــن ربـــاه جــزاء ما قــدم من حسنـاه[1]

يستهل الكيلانى منظومته الشعرية الغراب الغادر بأسلوب قصصى فيذكر :

قــد حـدثتنا أقـدم الأمثـال فيــا مضـى من الـــزمـــان

ثم يبدأ بعد ذلك فى سرد أحداث القصة عندما أنقذ أحد العصافير (فرخ الغراب) الذى أشرف على الهلاك فتعهده مع صغره بالرعاية حتى نما وكبر وأصبح الفرخ غرابًا كبيرًا ، ولكنه قتل ذلك العصفور الذى أنقذه ورباه وتطرح هذه القصة الشعرية قيمة الاعتراف بالجميل عن طريق ذم الذين ينكرون الجميل ، والقصة تخلو من المفردات الصعبة أو الألفاظ العامية ، وهذه مزية فنية للشاعر تضاف إلى أحكامه البناء الفنى للقصة الشعرية التى اتسمت بالإيجاز الواضح والربط المحكم فى سردها ، ولم يقع الشاعر أسيرًا لضرورة القافية المزدوجة إلا فى بيت شعرى واحد ، إذ تكررت لفظة (الأبناء والعيال) وهما بمعنى واحد يقول الشاعر :

وصــار عنده العــزيــز الغــالى وأكـــرم الأبـنـــاء والـعـيـــال

وعندما ما أصدر الكيلانى قصة (البيت الجديد) للأطفال فى عام ١٩٤٨ م ، اختتمها بمنظومة شعرية تلخص مغزاها كما تهدف إلى بث روح التعاون بين الناشئين يقول الشاعر من بحر مجزوء الكامل :

جمــع من الحيـوان قـــد سعدوا ، وطاب لهم مقــام
قــد رتبوا البيت الجميـل وأتقنــوا طبـخ الــطعــام
متعـــاونـين عـــلى الحيـــاة بـكـــل جـــد وأهـتـمـــام
قـــد ذللوا كـل الصعـــا ب وأدركـوا أقصى المرام
وتـــبـــادلـــوا ودابـــو دِ وابتســـامًـا بـــاحـتــرام
قد اخلصوا ، وصفت قلو بهم ، فعـاشـوا فى وئــام
فى كـل شىء قلدوا الـ انســان إلا من الكـلام[2]

(١) قصص شكسبير (الملك لير) ، كامل كيلانى ، ط القاهرة د . ت .
(٢) البيت الجديد ، كامل الكيلانى ، محفوظات (قصة التعاون) ، ط ١٩٤٨ م .

والمنظومة السابة خالية من التيسير اللغوى أو تعقيده ، كما أنها صحيحة الوزن والقافية إلا أنها أضعف منظومات الشاعر من الناحية الفنية فقد لجأ الشاعر إلى القص المباشر على لسانه ولم يرسم شخصياته من الحيوان أو الطير كما ألمح فى افتتاحية المنظومة ، فالأطفال دائمًا يميلون إلى الخيال المجسد أو الايهام بالصورة على ألسنة الحيوان أو الطير .

ومن المقطوعات الشعرية ذات الهدف التعليمى للأطفال منظومة (الوقت) يقول كامل الكيلانى من بحر الرمل فى هذه المقطوعة :

قال الطير : « ولقد حل الشتاء حل فصل البرد ، واشتد الصقيع
فوداعًا – أيها الغصن – وداعًا سوف ألقاك إذا عاد الربيع
سوف ألقاك ، إذا ما الطير عادت فى الربيع الطلق ، تشدو بالغناء
ثم قال الوقت للناس : وداعًا إننى أنفس شىء فى الوجود
ترجع الأوراق والطير جميعًا وأنا – من حيث أمضى – لا أعود[1]

يبث الشاعر من خلال منظومته السابقة قيمة (الوقت) فى الحياة باعتباره أحد مؤثرات النظام فى الحياة فأشار إلى دورته فى الوجود من خلال حواريه أحراه الشاعر بين الطير والشجر (الأوراق والأغصان) والبشر ، وقد ألفيناهم يودعون الصيف ويستقبلون الشتاء وينتظرون الربيع . وإذا كان الشاعر يخاطب الأطفال – أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة – حول قيمة الوقت وأثر استغلاله فيما يفيد وينفع فإنه أيضا يحذر الأطفال من عدم إفادتهم من كل ساعة من ساعات الحياة ، لأن الوقت (لا يعود) ... يقول الشاعر على لسان (الوقت) :

ترجع الأوراق والطير جميعًا وأنا – من حيت أمضى لا أعود

وعلى لسان الطفل (التلميذ) كتب الكيلانى منظومته (الطالب النشيط) واثبتها فى خاتمة القصة الفكاهية : (أبو الحسن) ... يقول فيها :

أنا لازلت تلميذًا مثل القمح نفعًا وقدما أحرز السبق المجد

---

(١) الملك العجيب (سلسلة ألف ليلة وليلة) كامل الكيلانى ، ص ٢٦ .

وتـــدرك همتى شــرفــاً ومجــدا   وحسبى - غاية - شرف ومجد[1]

ربما كانت هذه المنظومة هى الوحيدة من بين منظومات الكيلانى للأطفال التى صاغها من بحر الوافر التام ، ولغة المنظومة تناسب مدارك الأطفال وتوجههم إلى السلوك الإيجابى فى الحياة بما تحمله من حث على الجد والمثابرة لدى الأطفال وفى تعميق مفهوم العلم والتعليم فى نفوسهم .. وقد أوضح الشاعر للناشئين الثمرة المرجوة من العلم الذى يكتسبونه بالاجتهاد والاخلاص مما يفخرون به يقول الشاعر :

وفخــر المــرء علم يبتغيــه   وإخــلاص يحليــه ، وكــد

وينطق بالحكمة فى بيت مماثل يقول فيه :

وما يغنى الفتى طول وعرض   إذا لم يغنــه فــهم ورشــد

وقد وفق الكيلانى فى ايجاد العلاقة القريبة من مخيلة الطفل وهو يضرب المثل فى منظومته وهو يشير إلى مغزى قامة نبات القمح فيذكر :

ونبت القمــح مرتفــع قليــلا   ولكن هل له من النفع حد

ويومىء إلى ارتفاع قامة عيدان القصب عن القمح ، فيضرب القياس على هيئة المثل ... لقد نجح الشاعر فى رسم الصورة الذهنية بتقريبها إلى مخيلة الأطفال ، لأن قيمة المرء بعمله وعلمه ويقدر اخلاصه وجده لها . فنراه يصرح بذلك فى المنظومة ذاتها عندما قال :

فليس يقاس انسان بشبر   ليعرف قدره ، إن جد وجد

والمقطوعة فى مجملها جيدة البناء ، واضحة المضمون ، لغتها صحيحة فصيحة مستعملة لاتنزل إلى الاسفاف ولا ترقى إلى الصعوبة أو التعقيد اللغوى .

مثال آخر من شعر الكيلانى للطفولة هو قصيدته (من نافذة القطار) والتى أوردها تحت عنوان محفوظات فى قصته (ابن جبير) يقول كامل الكيلانى فى أبيات منها :

---

(١) أبو الحسن (سلسلة قصص فكاهية) كامل الكيلانى ، ص ١٦ .

هيهات ، هيهات ، لا جن ولا سحره بقـادرين على أن يلحقـوا آثره
هذى المنازل قد مرت على عجل كـأنها ومضـة للبـرق مختصـره
هذا قطيع - من الأغنام - المحه وهـذه دوحة ، فى ظلهـا بقـره
وهذه ترعه - فى أثرها - ظهرت وهضبة ، وحقول - بعدها - نضره
هذا سواد علا فوق القطار ، وقد م الفضـاء دخان قـاذف شرره
هذا القطار بطيئا - بعد سرعته - وذا صغير يدوى منـذرا خطره
هذى المحطة قد لاحت لأعيننا أعلامها ، ووفود السفر منتـظره
يحـل فيها قليـلا ، ثم يتركهـا لغيرها ماضيا ، مستـأنفا سفـره
كالسهم منصلتا ، والسيل مندفعا يثير - فى عدوه - الحصباء والغبره
هيهات ، هيهات ، لا جن ولا سحره بقادرين على أن يلحقوا أثره[1]

كشف الكيلانى فى مقدمة كتابه القصص للأطفال ابن جبير عن مقاصده بقوله (أيها الصبى العزيز ... أكبر ظنى أن هذه الرحلة (رحلة ابن جبير) ستكسبك إن شاء الله قدره على البيان ، وتكنا من فن الانشاء . وستزداد ثقافتك الفكرية والجغرافية والدينية والتاريخية واللغوية)[2] . وفى الواقع أن رحلة أبيه جبير الأندلسى من غرناطة إلى بلاد مصر والحجاز والتى قدمها الكيلانى للناشئين تنأى عن أفهام أطفال مرحلة الطفولة المبكرة أو الوسطى وإنما صاغها المؤلف للفتيان من ناشئة الأمة فى آخر مرحلة طفولتهم بهدف إكسابهم اللغة وتنمية معارفهم العامة ، وأزعم أن المؤلف كان يقصد بمقطوعته (من نافذة القطار) أن يحقق هدفه اللغوى والمعرفى عن طريق الشعر مثلما حققه عن طريق النثر ، مع الفارق التاريخى بين الرحلتين : فالرحلة الأولى مع ابن جبير تربط الأطفال بماضيهم ، والرحلة الثانية تشتمل على وصف عصرى من داخل نافذة قطار كاختراع عصرى) فيحرك الشاعر - عن طريق فن الوصف خيال الأطفال ويحفزهم للتعرف على الواقع المحسوس المحيط بهم فى مظاهر الطبيعة والبشر جميعا .

والملاحظ أن الشاعر نظم مقطوعته من بحر البسيط ، وحشد لهذا البحر

---

(١) ابن جبير ، كامل كيلانى ، محفوظات (من نافذة القطار) ص ٢٧٩ ط ١ ، ١٩٤٠ م .
(٢) السابق ، المقدمة .

الشعرى من المفردات اللغوية – مفردات لغوية عالية المستوى – لم تنتظمها سائر مقطوعاته الشعرية للطفولة ، من حيث الغزارة أو الارتفاع بالقاموس اللغوى الذى استعمله فى هذه المقطوعة وقد صاحب هذا النمو اللغوى أن يظهر (الخيال الشعرى) . وهو خيال محدد وبسيط – لأول مرة – فى مقطوعته الشعرية للأطفال ، كما أتكأ الكيلانى على التشبيه غير مرة – فى مقطوعته الشعرية يقول الكيلانى (هذه المنازل قد دمرت على عجل) وقوله (ثم مئذنه – فى الجو ذاهبة) كما أودع الشاعر مقطوعته عدة صور خيالية بسيطة تعين جمهور الأطفال على فهم المعانى بسهولة ، لأن الخيال مساق بالصورة المألوفة القريبة من الواقع والمشاهدة المألوفة يقول الشاعر :

(هذا سواد علا فوق القطار) وقوله : (وثم طاحونة لاحت لاعيننا ثوانيا واختفت – فى الحقل – مستترة) . (كالسهم منصلتا والسيل مندفعا) وليس معنى ذلك أن الشاعر قد بلغ قمة التجويد الفنى مقطوعته (من نافذة القطار) فلقد وقع فى إشكالية الكتابة للأطفال والكبار معا ، فالقصيدة تصلح للصغار والكبار فى بنيتها ومضمونها – وقد عرفنا أن مضمونها هو الامتاع الشعرى بفن الوصف – كما عرفنا أن مضمونها هو الامتاع الشعرى بفن الوصف – كما أن الشاعر لم يشرك الأطفال فى ثنايا القصيدة ، ووقف عند وصف الرحلة بالقطار من (خارجه) فى عزوف عن وصف عما يدور (داخل القطار) . والأرجح أن الشاعر قد ألزمته القافية لمثل هذا الوصف الضحل :

وهــذه مـركبــات حملت نفــرا   وفوق أخرى شعير يابس ، وذره

وإذا كانت الضرورة الشعرية قد ألزمته أن يبنى البيت السابق فى ضعف ونثرية فجة فإنه فى البيت التالى وقع أسيرا – داخل شباك – الصعوبة اللغوية ، يقول الكيلانى :

كالسهم منصلتا والسيــل مندفعــا   يثير فى عدوه الحصبــاء والغبره

ان الطفل بحاجة إلى تفسير للفظة (منصلتًا) وكذلك (الحصباء) حتى ترتسم صورة سرعة القطار فى مخيلته . ولقد نجح الكيلانى فى الفن الشعرى نجاحا حقق الغايات الوظيفية من شعر الطفولة من حيث اللغة والمضمون ، وفى اختياره الكتابة

للأطفال تحت عنوانات غير مألوفة ، ولم يقتبس وإنما عرض منظوماته ومقطوعاته وأناشيده فى إطار عصره ، لا جرم أن الكيلانى لم يصل بما كتبه للأطفال من شعر إلى النبوغ الذى حققه فى الأدب القصصى لهم ، ويكفينا القول بأنه اجتهد وأجاد ، فقبل وفاة الكيلانى بعام واحد قال فى حديث صحفى : (... والواقع أن لى شعرا كثيرا ، لو جمع لملأ خمسة دواوين ، لا ديوانا واحدا ، وكثير من هذا الشعر قد نشرته الصحف أو المجلات إبان أنشائه وجميع الأشعار الموجودة فى قصص الأطفال من شعرى)[1] .

كان شعره العام أشبه بالخصوصيات فلم يتوفر على اذاعته بين جمهور القراء فى كتب ، أو يجمعه فى دواوين ، لأنه يعرف مكانته الشعرية بين عمالقة شعراء العربية من معاصريه ومع ذلك جعل شعار حياته الفكرية والاجتماعية فى هذين البيتين.. يقول كامل كيلانى :

أنفـع النـاس وحسبى أنـنى أحيـا لأنـفـع
أنفـع النـاس ، ومـالى غير نفع الناس مطمع[2]

وكان قد أوردهما فى قصته للأطفال (النحلة العاملة) لكن الجانب الذى تفرد به الكيلانى بين كتاب الطفولة هو احتفاله بشعر الطفولة فى أغلب قصصه وحكاياته ، فكان يطرح منظوماته الشعرية فى خاتمة الحكاية بهدف تعليمى ، ينمى لغة الطفل ويثير أحاسيسه ، وقد أسمى هذه الأبيات الشعرية التى ضمنها قصصه (بالمحفوظات) من مثل :

أنـا لازلت تلميـذا صغيـرا ولكنى عـلى صغـرى مجـد
أسيرا إلى العلا سيرا حثيثا وأنشط نحـو غايتهـا واعدو
وليس يضيرنى صغرى إذا لم يثبـطنى عن العليـاء جهـد
وما يغنى الفتى طول وعرض إذا لم يغنـه فـهم ورشـد
فليس يقـاس إنسـان بشـبر ليعـرف قدره أن جـد وجد

---

(١) مجلة صوت الشرق ، أحمد الشرباصى ، حوار عنوانه : نقيب الآباء يتحدث ، ع ديسمبر ١٩٥٨ م .

(٢) كامل كيلانى الرائد العربى لأدب الأطفال ، عبد الغنى البدرى ، ص ٩٦ .

ونبت القمح مرتفع قليلا ولكن هل له فى النفع حد ؟
هو القوت الذى نحيا جميعا به وهو الذى ما منه يد
وقد يعلو سنابله نبات قليل النفع يعجب حين يبدو
وكم عود من القصب اعتلاه وما هو رفعه للقمح بد
وفخر المرء علم يبتغيه وأخلاص يحليه ، وكد
وسوف أكون مثل القمح نفعا وقدما أحرز السبق المجد
نعم واحب فعل الخير جهدى وأسهر للعلا والمجد بعد
وتدرك همتى شرفا ومجدا وحسبني - غاية - شرف ومجد[1]

وله منظومة طريفة بعنوان (ظلى) :

أنت يا ظلى رفيق عمرى أنت يا ظلى عجيب الأمر
كم تطول كم تبدو غاية فى القصر أو تزول ثم تعدو بعدها فى أثرى
ان ظلى مشبهى كل الشبه كلما استيقظت صبحا ينتبه
قافزا لخلفى طورا ساكتا دائما لم يدر معنى للكلام
حركاتى كلها ياتى بها لا يبالى سهلها من صعبها
انت قد حيرتى فى أمرى أنت خلفى حين أجرى تجرى
أنت أنت ابطىء ... بطىء السير أى نفع لك ؟ لست أدرى[2]

ومن الادب التعليمى يقول فى منظومته بعنوان : مفتاح القراءة :

كم من حديث معجب شائق تتلوه أمى وأبى من كتاب
هذا عجيب ، فمتى أغتدى متلها أقرأ بين الصحاب
كم ذا أجيل العين فى صفحة منقبا لا يعتريني فتور
وأنثنى من غير - جدوى وما فهمت شيئا بين تلك السطور
لكن أمى إذا رأت حيرتى قال : إذا ما رمت هذا المرام
نهال مفتاحا لاسراره هاك كتابا فيه سر الكلام
فيه حروف الهجاء

(١) النحلة العاملة ، كامل الكيلانى ، سلسلة قصص علمية جـ ٣ .
(٢) أبو الحسن ، كامل كيلانى ، سلسلة قصص فكاهية جـ ١٦ .

تبـدأ بـالاحـرف فيـه ولا　　تلبث حتى تقـرأ المفـردات
وتقـرأ الأسـطر من بعـدهـا　　فيصبـح الصعب من الهينات
ويعـد جـد واجتهـاد تـرى　　أنـك تتلو مثلنا فى الكتـاب
تقـرأ بما يشجيـك من قصة　　ومن حديث معجب مستطاب
فى أى وقت تشاء[1]

أيضا بث الكيلانى فى نهاية كل قصة من سلسلة القصص الفكاهية قطعة من الشعر وبخاصة فى قصص : عمارة ، والأرنب الذكى ، ونعمان ، والعرندس وأبو الحسن ، وكان يقصد فى تضمينه الشعر إلى تناول بعض المعانى التى تهذب وجدان الاطفال وتستثير أحاسيسهم بالألفاظ السهلة والجمل الشعرية القصيرة يقول فى قطعة شعيره تحت عنوان (لا أحد) :

شخص غريب تسمعون دائما　　به وإن لم يره منكم أحـد
ولست أدرى أبـدًا مـا شكله　　وكم له من معجزات لا تعد
أما أسمه فهو غريب عندكم　　تعـرفـه كـل فتـاة وولـد
فـإن سـألتم : مـا أسمـه ؟　　فهـو يسـمى « لا أحـد »
شخص خيالى غرب مضحك　　ووجهـه لم نره فى عمـرنـا
وكم بحثنـا كى نـراه مـرة　　فلم نفـز بطائـل من بحثنا
فهـل عرفتـك : ما أسمـه ؟　　نـعم يـسـمى : لا أحـد[2]

وبعد .. لقد حاولت هذه السياحة التحليلية فى شعر الكيلانى للأطفال* أن تلقى الضياء على رافد من روافد أدبيات الطفولة أسهم فيه إسهامًا لا يقل أهمية عن إسهامه الملحوظ فى الأدب القصصى للطفولة ريادة وتأليفًا ، فأستحق أن يكون رائد أدب الطفولة فى الأدب العربى الحديث .

---

(١) نشيد وأغانى كامل الكيلانى تقديم رشاد كامل كيلانى ، طبع المكتبة الكيلانية ، ١٩٨٢ م .
(٢) المرجع السابق نفسه .
(*) جمع المبدع عبد التواب يوسف « ديوان كامل كيلانى للأطفال » وصدره بدراسة موجزة وظهر الديوان بين أواخر عام ١٩٨٨ م عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد إنتهاء المؤلف من تقديم خطة اطروحته للدكتوراة فى ذلك الجانب عام ١٩٨٦ م .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملاحق الكتاب



مختارات من شعر محمد الهراوى

الحروف فى قصيدة

أَلِفٌ . أَلِفٌ نَظَمَتْ إِبْرَةْ
بَاءٌ . بَاءٌ لَفَّتْ بَكَرَةْ
تَاءٌ . تَاءٌ أَكَلَتْ تَمْرَةْ
ثَاءٌ . ثَاءٌ قَطَعَتْ ثَمَرَةْ
جِيمٌ جِيمٌ مَلأَتْ جَرَّةْ
حَاءٌ . حَاءٌ لَبِسَتْ حَبَرَةْ
خَاءٌ . خَاءٌ زَرَعَتْ خُضْرَةْ
دَالٌ دَالٌ مَلَكَتْ دُرَّةْ
شِينٌ . شِينٌ غَرَسَتْ شَجَرَةْ
صَادٌ . صَادٌ رَبَطَتْ صُرَّةْ
ضَادٌ . ضَادٌ مَنَعَتْ ضَرَّهْ
طَاءٌ . طَاءٌ قَفَزَتْ طَفْرَةْ
ذَالٌ . ذَالٌ نَفَخَتْ ذَرَّةْ
راءٌ . راءٌ رَأْسُ الْهِرَّةْ
زَايٌ . زَايٌ قَطَفَتْ زَهْرَةْ
سِينٌ . سِينٌ خَاطَتْ سِتْرَةْ
ظَاءٌ . ظَاءٌ قَصَّتْ ظُفْرَةْ

عَيْنٌ . عَيْنٌ عَدَّتْ عَشَرَهْ

غَيْنٌ . غَيْنٌ سَكَنَتْ غَمْرَهْ

فَاءٌ . فَاءٌ أَبْدَتْ فِكْرَهْ

قَافٌ . قَافٌ أَلْقَتْ قِشْرَهْ

كَافٌ . كَافٌ طَعِمَتْ كِسْرَهْ

لاَمٌ . لاَمٌ لَبَنُ الْبَقَرَهْ

مِيمٌ . مِيمٌ مِصْرُ الْحُرَّهْ

نُونٌ . نُونٌ صَادَتْ نَمِرَهْ

هَاءٌ . هَاءٌ حَمَلَتْ هِرَّهْ

وَاوٌ . وَاوٌ وَجْهُ الْمُهْرَهْ

يَاءٌ . يَاءٌ يَدُكُمْ عَطِرَهْ

تحياتى إلى ..

سَاعَةُ نَوْمِى هَاهِيَهْ   تَـدُقُّ لِى ثَمَـانِيَـهْ
فَـيَـا أَبِى وَأُمِّـيَـهْ   أَمْسَيْتُمَا فى عَـافِيَـهْ

أُمِّ ، انْعَمِى عَشِيَّةً   وَيَـا أَبِى ، سَـلاَمَـا
تَحِـيَّـتِى إِلَـيْـكُـمَا   مِنْ قَبْلِ أَنْ أَنَـامَا

تَحِيَّةُ العام الجديد
لِلأمْ

أُمِّ ؛ يَـا نُـورَ حَيَـاتِى   طِبْتِ بِالْعَامِ الْجَـدِيدِ
فَـخُـذِى مِـنِّى وَهَـاتِى   قُبْلَةَ الْعِيـدِ السَّعِيـدِ

لِلأبْ

تَحِـيَّـةٌ   يَـا وَالِـدِى   فِى عَـامِـكَ الْجَـدِيـدِ
أُهْـدِى إِلَيْـكَ زَهْـرَةً   فِـيهَـا تَهَـانِى الْعِيـدِ
تُـعْـرِبُ عَـنْ مَحَـبَّـتِى   مِـنْ قَـلْبِـىَ الْـوَدُود

الترام

مَـرْكَبَةُ التَّـرامِ(١) تَسِـيرُ بِـانْتِـظَامِ
تَجْتَـازُ كَـالْسفِينَـهْ شَـوارِعِ الْمَـدِينَـهْ
شَـرِيطُها الْحَـدِيدُ عَلَى الثَّرَى مَـدِيدُ
وسَلِكُهَا الْكَهْرَبُ فِى عُمُـدٍ مُـرَكَبُ
ذِرَاعُهَا مِنْ فَـوْقِهَا مُتَّصِـلٌ بِسِلْكِهَا
سَائِقُهَا وَالْجَابِى(٢) لِلسَّيْرِ وَالرُّكَّـابِ
صُفَّتْ بِهَا الْمَقَاعِدُ وَخَلْفَهَا الْمَسَانِدُ
يَـرْكَبُهَا الْجُمْهُـورُ وَهْىَ بِهِـمْ تَسِـيرُ
مَسَـافَـةً بَعِيـدَهْ بِـأُجْـرَةٍ زَهِيـدَهْ
قَـرَّبَتِ الدِّيَـارَا عَمَّـرَتِ الْقِفَـارَا(٣)
أَنَـارَتِ الظَّلاَمَـا مَهَّـدَتِ(٤) السَّلاَمَا
وَهكَـذَا فَـالْكَهْرَبَا قَدْ سَهَّلَتْ مَاصَعُبَا

(١) الترام : اصطلاح عربة العرف الحاضر .
(٢) الجابى : المحصل (وهو هنا الكمسارى) .
(٣) القفار : جمع قفر وهو المكان الخالى من الناس .
(٤) مهد : بسط .

الهدية

تَقَبَّلِ الْهَدِيَّةْ مِنْ حَسَنِ الطَّوِيَّةْ
وَعِفَّ عَنْهَا مِنْ يَدٍ سَيِّئَةٍ دَنِيَّةْ
فَرُبَّ مُعْطٍ حَاجَةً يَمُنُّ بِالْعَطِيَّةْ
وَأَنْتَ ، إنْ أَعْطَيْتَهَا فَبِالْيَدِ النَّقِيَّةْ
لاَ تُرْهِقِ النَّاسَ بِهَا لِغَايَةٍ خَفِيَّةْ
تُدْلِي بِهَا صُبْحاً ، وتَبْـ ـغِي مِثْلَهَا عَشِيَّةْ
رُبَّ مَنِ اسْتَهْدَيْتَهُ فِي أَزْمَةٍ مَالِيَّةْ
أَصْلُ الْهَدَايَا ثِقَةٌ وَصِلَةٌ وُدِّيَّةْ
فَإنْ تَحُلْ عَنْ أَصْلِهَا تَحُلْ إلَى بَلِيَّةْ

الأمانة

أَنَا فَتًى أَمِينُ لِي خُلُقٌ وَدِينُ
اَلْحَقُّ لاَ أُضِيعُهُ اَلسِّرُّ لاَ أُذِيعُهُ(1)
وَأَرْجِعُ الْوَدِيعَهْ(2) حَتَّى مَعَ الْقَطِيعَهْ(3)
وَلاَ أَمُدُّ يَدِي إلَى مَتَاعِ أَحَدِ
وَلاَ أَقُولُ بَاطِلاً وَلاَ أُضِلُّ سَائِلاً
مَنْ يَخُنِ الأَمَانَهْ أَوْدَتْ(4) بِهِ الْخِيَانَهْ

---

(١) لا أذيعه : لا فشيه .
(٢) الوديعة : الشيء المحفوظ أمانة .
(٣) القطيعة : قطع الودّ أى الخصام .
(٤) أودت به : أهلكته .

مختارات من شعر كامل كيلانى*

الباز واللقلق أو « الصقر والعصفور »

قَنَصَ ٱلْبَازُ قُبَّرَهْ
وَعَلا ٱلْبِشْرُ مَنْظَرَهْ(1)
فَانْبَرَى لَقْلَقٌ لَهُ ،
وَرَمَى ٱلْبَازَ بِالشَّرَهْ(2)
قَالَ : «أَطْلِقْ سَرَاحَهَا
تَأْتِ بِرًّا وَمَأْثَرَهْ(3)

صَوْتُهَا سَاحِرٌ ، فَلا
تَحْرِمِ النَّاسَ مَصْدَرَهْ

(*) ومثل تلك المختارات « جمعها كاملة » كاتب الأطفال المعاصر عبد التواب يوسف فى ديوان كامل كيلانى للأطفال بعنايه الهيئة المصريه للكتاب عام ١٩٨٨ ومن المعلوم أن جميع أشعار كامل كيلانى للأطفال مدونة سلفًا فى معظم نتاجه القصصى الذى صدر أبان حياته .

(١) « قنص » : صاد . و « الباز » . نوع من أنواع الصقر القبرة . نوع من أنواع العصافير .

(٢) « انبرى » : اندفع . و د اللقلق » : طائر طويل العنق والرجلين يوصف بالذكاء « الشره » : شدة الحرص والإقبال على الأكل .

(٣) « المأثرة » : المكرمة والصنع الجميل .

ضَعْفُها ظاهِرٌ، وَفِيـ
ـكَ صِيالٌ وَمَقْدِرَةْ[1]

فأحْبُها نِعْمَةَ الْحَيا
ةِ جَميلاً فَتَشْكُرَهْ»[2] .

***

هَزِئَ الْبازُ قائِلاً :
«سَيِّدِي : أَلْفُ مَعْذِرَهْ !

غَيْرَ أنِّي تَرِيبُني
فَعْلَةٌ مِنْكَ مُنْكَرَهْ[3]

ضِفْدِعٌ ـ بَيْنَ مِخْلَبَيْكَ ـ تُزَجِّيهِ كالْكُرَهْ[4]

ضَعْفُهُ ظاهِرٌ، وَفِيـ
ـكَ صِيالٌ وَمَقْدِرَهْ

فأحْبُهُ نِعْمَةَ الْحَيا
ةِ جَميلاً فَيَشْكُرَهْ

---

(١) « الصِّيالُ » : المدافعة والمغالبة والقهر .
(٢) « أحبها » : أعطيها وامنحها .
(٣) « تريبنى منك » : تشككنى فيك ، وتخوفنى منك .
(٤) « تزجيه » : تدفعه وترميه .

إنَّ لِلْخَيْرِ إنْ أَرَدْ
تَ طَرِيقاً مُيَسَّرَهْ
فأفْعَلِ آلْخَيْرَ بادِئاً
ثُمَّ لُمْنِي عَلَى آلشَّرَهْ» .

أناشيد وأغانى

من حكايات « كامل كيلانى »

اختارها ، وأعدها :

رشاد كامل كيلانى

يقدمها هدية

بمناسبة عرض مسرحية :

« حكايات وأغانى كامل كيلانى »

التى قدمها « المركز القومى لثقافة الطفل »

وذلك على « مسرح مترو بول » خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٨٢

مطبعة الكيلانى
المدير المسئول : رشاد كامل كيلانى
٢٢ شارع غيط العدة - باب اللوق
ت ٩١٨٥٩٨

نَشِيدُ « مِصْرَ »

سَماؤُكِ يا « مِصْرُ » أَصْفَى سَماءْ
وَأَرْضُكِ أَرْضُ الْغِنَى والرَّخاءْ

وَنِيلُكِ يا « مِصْرُ » جَمُّ الْعَطاءْ
فَمِنْهُ الْغِذاءُ وَمِنْهُ الْكِساءْ

عَلَى ضِفَّتَيْـــــهِ نَما مَجْدُنا
وَمِنْهُ عَرَفْنا فُنُونَ الْوَفاءْ

يَفِيضُ عَلَيْنــا بِخَـــيْراتِهِ
فَيَسْقِي الْغِراسَ وَيَرْوِى الظِّماءْ

وَتَسْرِى الْحَياةُ فَتَزْكُو النَّباتُ
وَيَحْيا الْمَواتُ وَيَحْيا الرَّجاءْ

أَعَزُّ الْغَوالِي ، حَياتِي وَمالِي
وَأَهْلِي جَمِيعًا : لِـ « مِصْرَ » الْفِداءْ

* * *

سَماؤُكِ يا « مِصْرُ » أَصْفَى سَماءْ
وَأَرْضُكِ أَرْضُ الْغِنَى وَالرَّخاءْ

وَشَعْبُكِ يا « مِصْرُ » يَحْمِي الْبِلادَ
وَيَفْدِي اللِّواءَ بِغالِي الدِّماءْ

بِلادِي ، بِلادِي : مَلاذُ الأَمانِ
وَحِصْنُ السَّـلامِ وَرَمْزُ الإِخاءْ

وَمُلْهِمَةُ الْمُصْلِحِينَ الْهُـداةِ
مَعانِي الْعُـلَى وَالنَّدَى وَالإِباءْ

مَنارُ الْعُلُومِ وَمَهْدُ الْفُنُونِ
شُعاعٌ أَنارَ وَنَجْمٌ أَضـاءْ

أَعَزُّ الْغَوالِي ، حَيـاتِي وَمالِي
وَأَهْلِي جَمِيعًا : لِـ « مِصْرَ » الْفِداءْ[1]

---

(١) قصص جغرافية وأساطير إفريقيه الجزء الثانى طبعت عام ١٩٤٠ م .

عُنْقُودُ الْعِنَب [1]

قِصَّةُ عُنْقُودِ الْعِنَبْ عَجِيبَةٌ مِنَ الْعَجَبْ
وَطُرْفَةٌ مِنَ الطُّرَفْ وَتُحْفَةٌ مِنَ التُّحَفْ
نادِرَةٌ ظَرِيفَهْ شائِقَةٌ لَطِيفَهْ
تَرْدَعُ كُلَّ خائِنِ هَمَّ بِفِعْلِ شائِنِ
وَكُلُّ ما فِيها عِبَرْ لِعاقِلٍ إِذا اعْتَبَرْ
أَقُصُّها عَلَيْكُمُ هَدِيَّةً إِلَيْكُمُ
فَإِنَّها مِثالُ يَحْفَظُهُ الأَطْفالُ

* * *

قَدْ أَقْبَلَتْ « سَمِيرَهْ » واجِمَةً حَسِيرَهْ
وَفَكَّرَتْ مَلِيًّا ثُمَّ اعْتَلَتْ كُرْسِيًّا
وَهْيَ تَرُومُ الْعِنَبا ما اسْتَأْذَنَتْ فِيهِ أَبا
وَانْدَفَعَتْ فِي جُرْمِها مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أُمِّها
وَصَمَّمَتْ ، فَأَقْدَمَتْ واضْطَرَبَتْ ، فَأَحْجَمَتْ

---

(١) حكايات الأطفال الجزء الرابع – طبعت عام ١٩٣٢ م .

وَصارَتِ الْمِسْكِينَهْ مَذْعُورَةً حَزِينَهْ
حائِرَةَ الْعَيْنَيْنِ مُرْتَعِشَةَ الْيَدَيْنِ
تَرْمُقُهُ فَتَحْسَبُهْ جَمْرًا تَلَظَّى لَهَبُهْ
فَهْيَ تَخافُ مَسَّهُ وَلا تُطِيقُ لَمْسَهُ

* * *

ثُمَّ تَعُودُ حائِرَهْ لِلْبَبَّغاءِ ناظِرَهْ
تَسْأَلُها النَّصِيحَهْ لِتَأْمَنَ الْفَضِيحَهْ
فَقالَتِ الْبَبْغاءُ : «أَسَأْتِ ، يا حَمْقاءُ !»
وَهَتَفَتْ مُفَزَّعَهْ وَصَيَّحَتْ مُرَوَّعَهْ
فِي لَهْجَةِ الْحَزِينِ النَّاصِحِ الأَمِينِ
وَاسْتَأْنَفَتْ تَقُولُ : «ضَلَّتْ بِكِ السَّبِيلُ
يا سُوءَها مِنْ قِصَّهْ إِنْ قِيلَ عَنْكِ : لِصَّهْ !
خائِنَةُ الْعُهُودِ سارِقَةُ الْعُنْقُودِ
يا قُبْحَها مِنْ سِيرَهْ تُذاعُ ، يا «سَمِيرَهْ» !
تُكَدِّرُ الأَتْرابا وَتُزْعِجُ الأَصْحابا
فَيَحْقِرُونَ أَصْلَكِ وَيَلْعَنُونَ فِعْلَكِ

* * *

فَســـارِعِي لِأُمِّكِ تائِبَةً مِنْ جُرْمِكِ

وَراقِبِي الدَّيّـانا وَالْتَمِسِي الْغُفْرانا

وَحاذِرِي أَنْ تَقْرَبِي حَبّاتِ هٰذا الْعِنَبِ

فَإِنَّـها مُضِرَّهْ تَشِينُ كُلَّ حُرَّهْ . »

* * *

فَأَدْرَكَتْ سَمِيرَهْ فَعْلَتَهـا الْكَبِيرَهْ

وَأَسْرَعَتْ لِأُمِّهـا مُقِــرَّةً بِجُرْمِهـا

وَالْتَمَسَــتْ رِضاها وَاسْــتَغْفَرَتْ أَباها

وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمـا فَقَبَّلَتْ يَدَيْهِمـا

واعْتَــذَرَتْ لِأَهْلِهـا وَلَمْ تَعُــدْ لِمِثْلِها

نَشِيدُ الْغُرابِ [1]

أَيُّهـا الـرِّفاقْ

أَيُّهـا الأَصْحـابْ

لا تُصَدِّقوا .

« دِنْدِشَ » الْكَذّابْ

غاقِ غاقِ غاقْ

* * *

أَيُّها الأَحْبابْ أَيُّهـا الرِّفاقْ

كُلُّ ثَعْلَبٍ طَبْعُهُ النِّفـاقْ غاقِ غاقِ غاقْ

* * *

لا تُصَـدِّقوا كُلَّ ما يُقالْ

كُلُّ ثَعْلَبٍ خادِعٌ مُحْتـالْ غاقِ غاقِ غاقْ

---

(١) قصة دندش العجيب طبعت عام ١٩٥٠ م .

قِصَّةُ التَّعاوُنِ[1] ...

جَمْعٌ مِنَ الحَيَوانِ قَدْ　　سَعِدُوا ، وَطابَ لَهُمْ مُقامْ

قَدْ رَتَّبُوا الْبَيْتَ الْجَمِيـ　　ـلَ ، وَأَتْقَنُوا طَبْخَ الطَّعامْ

مُتَعاوِنِينَ عَلَى الْحَيا　　ةِ بِكُلِّ جِدٍّ واهْتِمامْ

قَدْ ذَلَّلُوا كُلَّ الصِّعا　　بِ ، وَأَدْرَكُوا أَقْصَى الْمَرامْ

وَتَبادَلُوا وُدًّا بِوُ　　دٍّ وابْتِسامًا بِابْتِسامْ

وَتَبادَلُوا مِنْ فَرْطِ حُبِّـ　　ـهِمُ احْتِرامًا بِاحْتِرامْ

قَدْ أَخْلَصُوا ، وَصَفَتْ قُلُو　　بُهُمُ ، فَعاشُوا فِي وِئامْ

فِي كُلِّ شَيْءٍ قَلَّدُوا الْـ　　إِنْسانَ ، إِلَّا فِي الْكَلامْ

---

(١) قصة البيت الجديد : طبعت عام ١٩٤٨ م .

شهادات



الأمير عبد الله الفيصل (١)

تلميذ على كتب الكيلانى

روت جريدة « المدينة المنورة » هذا الحديث الطريف عن الأستاذ « كامل كيلانى » ، صاحب (مكتبة الأطفال) الشهيرة .

(إن سمو الأمير « عبد الله الفيصل » ، وزير الصحة والداخلية ، فى زيارته الأخيرة لمصر ، كان ضيف الشرف فى جمعية الشبان المسلمين ، وكان من بين الحاضرين الدكتور « صلاح الدين » والأستاذ « صالح حرب » .

وقد قدم الدكتور « صلاح الدين » لسموه الكريم الأستاذ « كامل كيلانى » ، فرحب سمو الأمير بالأستاذ « الكيلانى » ترحيبا بالغا ؛ والتفت إلى الحاضرين ، وقال :

« أتعرفون ، أننى تلميذ الأستاذ « الكيلانى » ؟ على كتبه درست ، وبفضلها أحببت الأدب ، فكان أول ما وقع فى يدى من كتبه قصة « عبد الله البرى وعبد الله البحرى » .

وقد حببت هذه القصة إلىّ قراءة المجموعة كلها ، وحببت المجموعة إلىّ الأدب ! »

فشكر الأستاذ « الكيلانى » لسمو الأمير عنايته ، وقال له :

« إن أول هدف ترى إليه هذه الكتب ، هو ما قلته سموك من أنها تحبب الأدب . »

---

(١) منبر الشرق فى ٢٥ / ٩ / ١٩٥٣ .

من أمير البيان شكيب ارسلان إلى كامل كيلانى

عند ما أتاح لي القدر -هذه المرة- دخول مصر بعد غيبة تسع وعشرين سنة عن هذا الوادي المقدس، ألفيته -فيما ألفيت من كنوزها- خبيئة مكنونة يقال لها: السيد كامل الكيلاني، فليس من ذوي المناصب الرسمية العالية، ولكنه من ذوي المناصب النفسية العالية. أقامه أدبه بالمقام الذي قعد عنه منصبه. وما زالت رتبة العلم أعلى الرتب. فمن عرف هذا المجتهد الفذ حق المعرفة، رأى فيه بحرا زخارا يغرق منافسيه بكل لجة، وعثر على خزانة أدب مكتظة، صاحبها حجة اللغة لا ابن حجة، نادرة زمانه في الحفظ، وأعجوبة عصره في النقد، وآية من آيات الله في سلامة الذوق، والمثل البعيد في البديهة، والمتولي على الأمد في حرارة النكتة، والقاموس الدائم في حسن المحاضرة. هذا إلى أخلاق رضية، ومنازع أبية، وصفاء سريرة، ووفاء شيمة. ولا خير في علم لم يزينه خلق، ولا جدوى في درس ليس وراءه نفس. وهو في هذا العصر من سباق حلبتي النظم والنثر. يكفيه فخرا وأجرا سلسلة الكتب التي ألفها للأطفال، فشاعت في الأقطار، وطارت شهرتها كل مطار. وقد كان فيها نسيج وحده، فأودع فيها جميع ما تلزم الأحداث معرفته من أمور الكون على حسب درجة السن، وذلك بأسلوب متين تتجلى فيه قوة اللغة، وتنشأ به عند الأحداث ملكة العربية، وبلهجة رقيقة تناسب رقة

قلب الطفل، وتزيده رغبة في الدرس، وتطبعه على الأخلاق
الفاضلة، وتنشئه في الجلية وهو مبين. فكانت هذه
المأثرة للسيد الكيلاني من أبكار المآثر، لا يتمارى فيها متمارٍ
سدَّ بها ثلمة في علم التربية العربية كانت من أهم عوائقها
وحقق في مهمة تهذيب النشء أمنية هي من أعظم لباناتها.
فكانت له زعامة هذا الفن بحق. وما ظلم من قال إنه
استأثر فيه بالسبق. فجزاه الله خير ما يجزي عباده العاملين.
وهذه مني شهادة عن رأي وسمع، أشهد بها على الله وعباد
الله (ولا نكتم شهادة الله، إنا إذاً لمن الآثمين.) وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

شكيب أرسلان

مصر في ١٢ جمادى الأولى
١٣٥٨

من المستشرق كارل نالينو

إلى كامل كيلاني
من الأستاذ كارلو نالينو
الأستاذ بجامعة "رومة" وعضو مجمع اللغة العربية .

الى حضرة الاستاذ كامل كيلاني المحترم

سيدي

لقد امتلأ قلبي سرورًا حين قرأت في هذه الاعوام الاخيرة مجموعة كبيرة من كتبك التي انشأتَ بها مكتبة الاطفال .

ولئن صح يقيني لتكوننّ نسيج وحدك في عالم التأليف للاطفال في البلاد العربية قاطبةً . فلست اعرف لك ضريبًا في هذا المضمار في اي بلد ينطق اهله بالضاد . فإن كتبك قد جمعت الى براعة التسلية حسن الاسلوب . ووفرة المعلومات معًا . ولست ارى لها مثيلًا الا تلك الكتب التي تدرس في مدارس اوربا الى جانب الكتب المدرسية لتثير في انفس الاطفال والشباب حب الاطلاع وحب التسلية كما تثير فيها - الى جانب ذلك - حب التفكير وتمهّد لها طرائقه .

وعندي ان كتبك قد سدّت هذا الفراغ في عالم «البيداجوجيا» في الشرق بطريقة مُثلى . فان جاذبية هذه القصص لا تبلى جدّتها . فهي حافظة ابدًا لروعتها وسحرها . وكل ما فيها يدل على سلامة الذوق . فانها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار وفي اسلوبها بالمتانة والدقة وفي لغتها بالسهولة . وان صوغ عباراتها وانتقاء مفرداتها لينمّان عن ذوق عربي اصيل

---

(١) ١٩٣٥

مكتمل النضوج يشعّ فيها جميعًا. ولست استثني من
ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الاوروبية فان
تجويد اسلوبها وتخيّر الفاظها وطابَعها العربي الصميم كل
ذلك لا يدع مجالاً للشك في ان هذه القصص هي - بانشائها -
عربية باصل وضعها حتمًا.

واني لأحبّذ اوفى تحبيذ تلك العناية التي تبذلها في
انتقاء الموضوعات اولاً والاساليب ثانيًا واحجام الحروف ثالثًا
وترتيب ذلك ترتيبًا يتمشى بنجاح تام من الاطفال الى الشباب
وفق تدرّجهم في اسنانهم ومداركهم. كما يسرّني ان انوّه
بالرشاقة والوضوح اللذين يتجلّيان في فن تلك الصور المبدعة
التي ازدانت بها هذه الكتب.

وبعد فاني اهنئك - مخلصًا في تهنئتي - بهذا الاثر
الجدير بالثناء. كما اتمنى من صميم قلبي ان تعمّ هذه
الكتب الاقطار العربية كلها.

فما اجدرها ان يقرأها كل طفل وان يستفيد منها كل
فتى وفتاة وتدرسها كل مدرسة ومعهد. واخلِق بها ان
تكون خير مرشد للاجانب الذين يدرسون العربية ويرغبون
في الوصول الى غايتهم من اقرب طريق واهدى اسلوب.

وتفضل يا سيدي كيلاني بقبول اوفى تحيتي وتقديري

Carlo A. Nallino

تَحِيَّةُ أَمِيرِ الشُّعَراءِ :

أحمد شوقى

لِرائِدِ أَدَبِ الأَطْفالِ :

كامل كيلانى

يا « كامِلَ » الْفَضْلِ قَدْ أَنْشَأْتَ مَكْتَبَةً
يَسِيرُ فِي هَدْيِها شِيبٌ وَأَطْفالُ
جَمالُ طَبْعِكَ حَلَّاها وَزَيَّنَها
فَأَصْبَحَتْ بِجَمِيلِ الطَّبْعِ تَخْتالُ

« شوقى »

* * *

« أَنْفَعُ النَّاسَ ، وَحَسْبِي أَنَّنِي أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنْفَعُ النَّاسَ وَمالِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ ! »

كامل كيلانى

« بعد أغلفة عنوانات مؤلفات الرواد »

للشاعر محمد الهراوى



لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤



سمير الأطفال

شعر سهل بالصور

للإنشاء والإملاء والمطالعة والحفظ

عمل

محمد الهراوي

بدار الكتب المصرية

الجزء الأول للبنين

اقترت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب بمدارسها للبنين والبنات

الطبعة الثانية معدلة

بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

الثمن ٤٠ مليما

مسرح الأطفال

المقطوعة الثانية

رواية

حلم الطفل ليلة العيد

"ذات فصلين"

للمطالعة والتمثيل

عمل

محمد الهراوي

الطبعة الأولى

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م

الثمن ٢٠ مليما

السمير الصغير

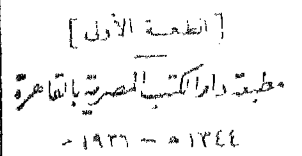
شعر سهل بالصور

أناشيد ، أغانى ألعاب ، مقطوعات خلقية وأدبية

فى البيت والمدرسة

تأليف

محمد الهراوى



[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م



المؤلف بين طفلين



محمد الهراوى
شاعر
الأطفال
تحقيق ودراسة أحمد سويلم

ديوان « الهراوى » للأطفال

جمع ودراسة : عبد التواب يوسف

تضمين أمين

لقصائد « سمير الأطفال »

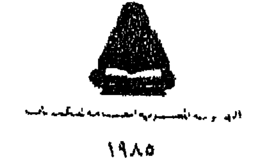
للبنين والبنات ، و« السمير الصغير »

و« الطفل الجديد »

«وانباء الرسل»

وذلك بمناسبة مرور مائة عام على مولده





١٩٨٥

الهراوى

بقلم : عبد التواب يوسف

تضمين أمين لخمس مسرحيات

للأطفال كتبها محمد الهراوى

(١٨٨٥ - ١٩٣٤)

ثلاث مسرحيات نثرية ، ومسرحيتان

منظومتان مع مقدمة دراسية عن

مسرح الطفل العربى ،

وعن أعمال الهراوى المسرحية



دار الكتاب المصرى
القاهرة

دار الكتاب اللبنانى
بيروت

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .
* الأعلام للزركلى .

أولا : المؤلفات الابداعية :

* ابراهيم بك العرب :
١ - كتاب آداب العرب ط ١ ، المطبعة الاميرية بمصر ١٩١١ م.

* أحمدى شوقى :
٢ - الشوقيات ، ط ١ ، المؤيد والآداب ، ١٨٩٨ م .
٣ - منتخبات من شعر شوقى فى الحيوان ، ط المكتبة التجارية ١٩٤٩ م .

* على فكرى :
٤ - مسامرات البنات ، ط ١ اللواء ١٩٠٣ م .
٥ - تربية البنات ، ط ٣ عيسى البابى الحلبى ١٩٥٢ م .

* كامل كيلانى : قصص :
٦ - حكايات الأطفال ٧ - ابن جبير
٨ - قصص شكسبير ٩ - النحلة العاملة
١٠ - البيت الجديد ١١ - الأرنب والصياد
١٢ - الملك العجيب ١٣ - قصص جغرافية
١٤ - أبو الحسن ..

* محمد الهراوى : دواوين :
١٥ - سمير الأطفال للبنين (٣ أجزاء)
١٦ - سمير الأطفال للبنات (٣ أجزاء)
١٧ - الأغانى التوقيعية .
١٨ - الطفل الجديد .
١٩ - السمير الصغيرة .
٢٠ - أنباء الرسل .
* محمد عثمان جلال :
٢١ - العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ ط ١٣١٣ هـ .

ثانيا الكتب :

* أحمد زلط (دكتور) :
٢٢ - أدب الطفولة (أصوله .. ومفاهيمه) ط ٢ الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٠ م .
٢٣ - أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال ، ط ١ دار عين للدراسات الاجتماعية والانسانية ، القاهرة (قيد الطبع) .
٢٤ - رواد أدب الطفل العربى ، ط ١ دار الأرقم ١٩٩٣ م .
* أحمد سويلم :
٢٥ - محمد الهراوى شاعر الأطفال (تحقيق ودراسة) ، المركز القومى لثقافة الطفل ١٩٨٧ م.
٢٦ - المسرح الشعرى للأطفال ، نشر مؤسسة الخليج العربى د . ت .
٢٧ - أطفالنا فى عيون الشعراء ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف ١٩٨٧ م .
* أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) :
٢٨ - تاريخ التعليم فى عهد محمد على ، ط القاهرة ١٩٣٨ م .

* أنور عبد الملك (دكتور) :
٢٩ - نهضة مصر ، ط هيئة الكتاب ١٩٨٣ م .
* حسام الدين السامرائى :
٣٠ - نهاية الرتبة لابن بسام ، تحقيق . ط بغداد ١٩٨٧ م .
* رفاعة رافع الطهطاوى :
٣١ - المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين ، المطبعة الملكية ١٨٧٥ م .
* عبد التواب يوسف :
٣٢ - ديوان كامل كيلانى للأطفال (أعداد ودراسة) ، هيئة الكتاب ١٩٨٨ م .
٣٣ - الهراوى رائد مسرح الطفل العربى (جمع وعرض) ط ، دار الكتاب المصرى (بالاشتراك) ١٩٨٧ م .
* عبد الغنى البدوى :
٣٤ - كامل كيلانى الرائد العربى لأدب الأطفال ط ١ ، الدار القومية ، ١٩٦٣ م .
* على الحديدى (دكتور) :
٣٥ - فى أدب الأطفال ، ط ٢ ، الأنجلو المصرية د . ت .
* محمد غنيمى هلال (دكتور) :
٣٦ - فى النقد المسرحى ، ط ١ بيروت ١٩٧٥ م .
* يواقيم رزق (دكتور) :
٣٧ - أوراق مصطفى كامل ، ط هيئة الكتاب ١٩٨٦ م .

ثالثًا : مؤلفات ودوريات عامة :

٣٨ - كامل كيلانى فى مرآة التاريخ (لمجموعة أقلام) ط ١ المكتبة الكيلانية . القاهرة ١٩٦٢ م .

٣٩ - روضة المدارس (١٨٧٥ م) .

٤٠ - المدرسة . (١٨٩٢ م) .

٤١ - المؤيد (١٣١٠ هـ) .

كتب أخرى للمؤلف

(١) - وجوه وأحلام ، قصص قصيرة ، ط ١ سلسلة أصوات ١٩٨٣ م .
- وجوه وأحلام ، قصص قصيرة ط ٢ مؤسسة العصر الحديث ١٩٩١ م .
(٢) - قراءة فى الأدب الحديث والمعاصر ، ط ١ ، مؤسسة العصر الحديث ١٩٨٩ م .
(٣) - فكر الدكتور محمد حسين هيكل ، ط ١ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧ م .
(٤) - أدب الطفولة (أصوله .. مفاهيمه) ط ١ الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٠ م.
أدب الطفولة (أصوله .. مفاهيمه) ط ٢ الدار العربية للنسر والتوزيع ١٩٩٠ م .
(٥) ديوان السنهوتى للأطفال ، جمع وتقديم ، ط ١ دار الشرق ١٩٩١ م .
(٦) - الطفولة والأمية ، ط ١ سلسلة أقرأ ، دار المعارف ١٩٩٢ م .
(٧) دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، ط ١ ، دار المعارف ، ١٩٩٣ م .
- دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، ط ٢ دار المعارف ، ١٩٩٤ م .
(٨) - رواد أدب الطفل العربى ، ط ١ دار الأرقم ، ١٩٩٣ م .

قيد الطبع :
* قاموس مصطلحات أدب الطفولة : (عربى - إنجليزى - عربى) .
* أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال .
* من قضايا الأدب العربى المعاصر .
* مدخل إلى الأدب الإسلامى .
* فى أدب الطفل المقارن (بالاشتراك) .
* الدراما والفنون التقنية المعاصرة .
* قراءة فى الأدب الحديث والمعاصر ، (طبعة ثانية مزيدة ومنقحة) .



الفهرست

رقم الإيداع		٨٢٧٩ / ١٩٩٤
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4691 – 3	ISBN

٣/٩٤/١٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



